قصص للجميع (٧)

موسم ذبح الإناث

رواية

د. نبيل راغب

الناشر



ميدلايت المحدودة

الغـلاف والرسـوم الداخلية

للفنـان يوسـف راغب

الناشــر
شركـة ميــدلايت المحـــدودة
الجيزة : ٦ ش جزيرة العرب ـ المهندسين
ت : ٣٤٩٨١٦٢

(١)

دوى التصفيق كهدير إعصـار اجتاح ملعب كرة القدم فى إستاد العاصمة ، ومعه كل مقاهى وأندية وبيوت المحافظات والمدن والمراكز والقـــرى التى كانت تتابع المباراة على شاشات التليفزيون . كان الهدف الثانى الذى أحرزه نجم النجـــوم معتز فى مرمى النادى البرازيلى الشهير بمثابة قنبلة الفـرح والنشوة التى تفجرت فى قلوب الملايين بطول البـلاد وعرضـها . خلت الشـوارع من المـارة ، واكتظت المقاهى بالرواد ، وتعلقت العيون بقدم معتز الذهبية التى دخلت تاريخ الكرة المصرية من أوسع أبوابه .

اهتزت مدرجات الملعب الكبير بزئير الجمهـور الذى يصم الآذان : ميزو .. ميزو .. ميزو !! وميزو هـذا هو اسم التدليل لمعتز الذى تربع على عرش القـلوب المنتشية بأهدافه التى أعادت للكرة أمجادها القديمة . لم يصدق الجمهور عيونه وآذانه عندما أطلق الحكم صفارة نهاية المباراة التى انتهت بانتصار النادى المصرى على النادى البرازيلى بهدفين

لهدف واحد . صحيح أن النادى لم يأت بكل نجومه الذين دخلوا معسكرا للاستعداد لبطولة كأس العالم ، لكنه لايزال النادى الدولى باسمه المدوى وشهرته التى تثير الرعب فى نفوس لاعبى العالم !

فجأة أصيبت الشوارع والطرقات والميادين بحمى السيارات المنطلقة ، والأبواق الصارخة ، والأعلام المرفرفة ، وهتاف الحناجر : ميزو .. ميزو ، الذى امتزج بدوى الأبواق المتقطع : بيب .. بيب .. بيب ! فى حين لوح الشباب والفتيات بل والكهول من الشرفات بالأعلام بنفس إيقاع الأبواق والهتافات ! كانت النشوة عارمة لدرجة تبادل الغرباء للأحضان والقبلات فيما بينهم ! أما فى الأحياء الشعبية فقد أوفى أصحاب المقاهى ومحلات البقالة وأكشاك السجائر بنذرهم وفتحوا زجاجات المياه الغازية بالمجان لكل من حل أو مر بهم سواء من أبناء الحى أو من الغرباء !

لكن كل هذه النشوة لم تعادل فورة النشوة التى غمرت سارة وهى جالسة على الحشية الجلدية المذهبة فوق البساط الأحمر التبريزى وقد ضمت جدائل شعرها البنى اللامع الناعم على شكل ذيل الحصان ، وتشبثت عيناها العسليتان الواسعتان

بشاشة التليفزيون الذى كان يعيد إذاعة أهداف المباراة أكثر من مرة ، وبين كل مرة وأخرى فقرات إعلانية يظهر فيها معتز وهو يعلن مرة عن مياه غازية ، ومرة أخرى عن شفرات حلاقة ، ومرة ثالثة عن كولونيا الرجولة والسحر والنشوة !

كان عزمى ابو سارة يرقبها من جلسته على الأريكة فى حين انهمكت سحر أختها التى تصغرها بعام فى اجترار أهداف المباراة على الشاشة . تململ عزمى فى جلسته وقد فقد قوامه الرشيق قدرته على الاسترخاء ، وكأنه يبحث عن كلمات يوقف بها المس الكهربى الذى سرى فى ابنتيه منذ بداية المباراة ! وفرت سارة على أبيها مشقة فتح باب الحوار حين نظرت إليه بأنفها الدقيق المشرئب إلى أعلى وسط وجهها القمحى الجميل الساحر وهى تقول :

ـ العالم كله يتطلع لرؤية معتز !! شىء لا يصدقه عقل !!

ومضت عينا سارة السوداوان مع ابتسامة افترشت وجهها الأسمر الرقيق ، وأصابعها الدقيقة تتسلل بين شعرها القصير قائلة :

– لابد أن نقوم بتبخير كل من معتز وســارة خوفا من العيون الشريرة !!

نهض الأب ليخفض من صوت التليفزيون وعاد إلى جلسته قائلا :

– كانت كرة القـدم فى أيامنا هواية جميلة ·· ومهما حقق اللاعب من أمجاد فإنه كان يرى مستقبله فى دراسـته أو وظيفته الفعلية ·· لكن أن يهجـر اللاعب دراسته الجامعية لفشله فيها نتيجة لنجاحه فى لعب الكرة فهذه مقامرة أو مغامرة من الصعب أن نتنبأ بعواقبها !!

التفتت سارة إلى أبيها ووميض العســل يتدفق من عينيها :

– الكرة لم تعـــد هواية كما كانت فى أيامكم يا بابا ·· فمن يتفـوق فيها الآن كمن وجـد خاتم سليمان أو مصباح عـلاء الدين ·· فالأندية تدفـع للاعبين مكافآت أسطورية ·· والنجوم منهم يحصلون على مبالغ خيالية من ظهورهم فى الإعلانات !!

أطلقت سحر إحدى ضحكاتها العذبة :

ـ ومع ذلك مازلنـا نرفض أو ننكر وجـود الاحتراف عندنا !!

علق الأب مخفيا ضيقه :

ـ الأسماء لا تهم ·· لكننى لا أجد أى سبب أو عذر لمعتز لأن يهجر كلية الطب البيطرى من السنة الثانيـة !

أجابت سارة بنفس الوميض العسلى :

ـ كان يحلم بحمل لقب دكتور ·· لكن مجموعه فى الثانوية العامـة لم يؤهله لدخـول كلية الطب البشرى ·· فدخل الطب البيطرى لكن يبدو أنها لم ترض طموحه ·· برغم ترحيب أبيه بها لعله بعـد تخرجه يشرف على علاج حيوانات مزرعته !

أضافت سحر كأنها تقرر حقائق راسخة :

ـ كما أن أسرة معتز فى منتهى الثراء ·· تملك من العقارات والأراضى الكثير !

دق الأب مسند أريكته بقبضته :

ـ هذه نغمة أكرهها من صميم قلبى ·· فالإنسان بما يعمله وليس بما يملكه ·· أنتم تعلمون جيداً

أننى بدأت من الصفر ·· والآن نملك هذه الفيللا الفاخرة التى تعيشون فيها إلى جوار فيللا أسرة معتز ·· صحيح أننا لم نبلغ مقدار ثرائهم ·· لكننا لا نعيش على مستوى أقل منهم ·· وكل هذا بفضل العمل الدءوب المستمر !! وكرة القدم لا يمكن أن تكون عملا أو وظيفة فى نظرى !

تحسست سارة دبلة الخطبة والخاتم الماسى بوميضه المشع حول خنصر يمناها :

ـ كرة القدم فى هذه الأيام وظيفة تدر الملايين ·· ونجوم الأندية فى الخارج أكبر دليل على ذلك ·· وقد أثبت معتز وبعض نجوم جيله أنهم قادرون على تحقيق هذا فى وقت قياسى !

ـ وماذا بعد كرة القدم عندما تبتعد عنه الأضواء ؟!

ـ سيصبح رجل أعمال من الطراز الأول ! فلديه من رأس المال ما يمكنه من تنفيذ أكثر من مشروع !

ـ وما هى خبرته التى تمكنه من أن يصبح رجل أعمال من الطراز الأول ؟!

ـ يمكنه الاستعانة بأصحاب الخبرة ٠٠ وفى مقدمتهم أبوه نفسه !!

أشاح الأب بوجهه بعيداً :

ـ أنت تعرفين جيدا نظرة أبيه إلينا ٠٠ فهو لا يكن لنا أى احترام وإن كان يدعى غير ذلك ٠٠ فهو يعتبرنا محدثى نعمة ويتيه علينا بأصله التركى الأرستقراطى وبقدرته على تجاوز ضربة التأميمات التى أصابت أباه وقضت عليه ٠٠ ويتفاخر بأنه يدلل ابنه ويلبى كل رغباته فى حين عجزت أنا أو رفضت تدليل ابنتى !!

ربتت سحر على يد أبيها فى حنان :

ـ لكنك يا بابا لم تمنع عنا أى شىء طلبناه !

ـ ما دام شيئا مفيداً ومثمرا ٠٠ أما التفاهات فلا شأن لى بها !

ابتسمت سارة فى عذوبة وهى تميل بوجنتها اليمنى على ركبة أبيها :

ـ وبرغم رفضك لشخصية معتز وافقت على خطبته لى ؟!

– علمتنى الحيــاة أن إصرارى على حمــاية مستقبل الآخرين لدرجة العناد يجعل منى مستبدآ وطاغية ‥ ومن الآخرين ضحايا وشهداء ‥ فهناك نقطة لابد أن يتوقف الإنسان عندها ويترك الآخرين يتحملون مسئولياتهم ويقررون مصائرهم !!

لم تستوعب سارة كل ما عناه أبوها ، فقد غلبتها سعادتها بموافقة أبيها على خطبتها على كل ما عداها من أفكار وأحاسيس · قالت :

– وأبو معتز أيضا كان رافضا لخطبته لى ‥ ومع ذلك رضخ لإصراره فى النهاية !!

– كان رافضا لزواج ابنــه الأرستقراطى المدلل من ابنة الرجل الكادح العصامى ‥ لكنــه رضـخ لإصراره على سبيل الاستمرار فى تدليل ابنه وتلبية كل طلباته ‥ أما رفضى فكان نتيجة لخوف الأب على ابنته التى ستتزوج من شــاب مدلل لم يكمـل تعليمه ‥ ولا أعرف كيف يمكن الاعتماد عليــه فى المستقبل ؟!

ضحكت سحر فى ثقة بالغة بكل ما تقوله :

– لا تخف يا بابا على ابنتك ‥ فعندما سخر

معتز من إصرار سـارة على إكمال دراستها بكليـه الحقوق أوقفته عند حده ٠٠ فثلاث سنوات ليست سوى فترة عابرة تصبح بعدها الأستاذة سارة خريجة حقوق بتقدير جيد جدا على الأقل !! وسألحق بها بإذن الله هذا العام كى أحصل على نفس الليسانس ونفس التقدير بعدها بعام بإذن الله !

ربت الأب على رأس سحر فى حنو بالغ مغمور بسعادة خفية :

ـ كنت أقول لنفسى دائما إنـه مهمـا اتسـعت الفجوات بين الأجيال ٠٠ فلابد أن يحمـل الأبناء بصمات آبائهم مهما بدت سطحية !

فجأة انفجرت أبواق مواكب السيارات فى ثورة عارمة وقد هلت كعادتها فى أعقاب كل مباراة يسطع فيها نجم معتز ، لتظل تدور حول بيته حتى منتصف الليل ! لكن الدوى هذه المرة كان يصم الآذان لدرجة أن ثلاثتهم عجزوا عن تبادل الحديث ! هرعت سارة وسـحر لمتابعة المظاهرة من خلف خصـاص النافذة التى اهتزت بالهتاف المتواصل : ميزو ٠٠ ميزو ٠٠ ميزو !! مع التلويح بالأعلام ورقصات بعض الشباب على أسطح السيارات الصغيرة أو الفارهة على حد

سواء ! ثم تبينت سارة أن جرس التليفون يدق فالتفتت لتجد أباها قد خرج من الغرفة ، فانقضت على التليفون ليصدق حدس قلبها ۰ كان معتز على الطرف الآخر فضغطت بكفها على أذنها اليسرى حتى تلتقط كلماته بقدر الإمكان وهو يقول :

– قد لا نستطيع الخروج من الإستاد حتى مطلع الفجر ۰۰ الآلاف المؤلفة تحيط بالإستاد وأقسمت أن تحمل أتوبيس اللاعبين على الأعناق بمجرد ظهوره ۰۰ قرر رجال الأمن منعنا من الخروج حتى تهدأ العاصفة التى يمكن أن تستمر حتى الفجر ۰۰ وسمحوا للصحفيين بمقابلتنا ۰۰ وأصر أحد الصحفيين على معرفة متى سنتزوج حتى يفوز بهذا السبق الصحفى ۰۰ فقلت له ۰۰ أول خميس فى الشهر القادم ۰۰ فلا داعى للانتظار أكثر من ذلك ۰۰ وخاصة أن بابا انتهى من بناء الشقة وتجهيزها !!

صمت لحظات ليلتقط أنفاسه المبهورة ، فقالت سارة بنبرات غمرتها أمواج الإثارة الكاسحة :

– وأنا أيضا ۰۰ أخبرنى بابا بأن شقتنا ستكون

جاهزة فى حدود عشرة أيام أو أسبوعين على أكثر تقدير !

خلا صوته من الإثارة ليبدو صارما بعض الشىء :

ـ قلت لك ألف مرة أنك ستقيمين فى شقتى أنا .. حتى الآن لا أعرف السر فى إصرار أبيك على بناء وتجهيز شقة لك فى فيلتكم !! ألا تكفينا شقة فاخرة واحدة !!

أطلقت ضحكة صافية جاء على أثرها كل من أبيها وأمها اللذين جلسا يتابعان الانطباعات المتتالية على وجه ابنتهما التى قالت :

ـ أى مكان نوجد فيه معا هو الجنة نفسها !

أنصتت لصوته وهى تضغط بكفها على أذنها اليسرى لتمنع الصخب المسعور الذى أوشك أن يصيبهم بالصمم !

* * *

كانت ليلة من ليـالى ألف ليلة وليـلة ! امتلأت القاعة الكبرى فى الفندق الفاخر بأكثر من ألف مدعو من نجوم الكرة والسينما والمسرح وكبار رجال الأعمال ورؤساء مجالس إدارات البنوك والمؤسسات والشركات وغيرهم من الوجوه المألوفة على شاشات التليفزيون وصفحات الصحف . لكن كلا من معتز وسارة لاحظا أن أسرتيهما قد تحولتا إلى حزبين منفصلين تقريبا ، كل بأقاربه ومدعويه باستثناء الجـيران الذين كانوا أصدقاء للجميع .

بدا معتز وسـارة وكأنهما فتى وفتـــاة خرجا لتوهما من بين صفحات كتاب أساطير أو حوريات أو أطياف ! معتز فى حلته السوداء ذات الياقة اللامعة ، ووميض عينيه الأخضر ، وخصلات شعره الذهبى ، وقوامه الرشيق الفارع مما دعا أمه إلى توزيع كميات مهولة من الملح وبدرات الملاليم اللامعة على وصيفات الشرف اللاتى رششن بها المدعوين لعل عيونهم تنشغل بعيدا عن سحر ابنها الذى بدا فى قميصه الأبيض

بصدره الدانتيلا ورباط عنقه الأحمر كأحد النبلاء أو الأمراء الذين يظهرون فى ليـــالى الريفيرا أو مونت كارلو !

أما جمال سارة وسحرها فكانا من نوع آخـر . تالقت عيناها الواسعتان بوميضهما العسـلى الذى امتزج بوميض التاج الماسى فوق جدائل شعرها البنى اللامع المنساب تحت طرحة التل والدانتيلا البيضاء التى ترامت أطرافها الطويلة فيما يشبه التـلال أو الأمواج حول مقعدها الذهبى ! أما وجهها القمحى الجميل ، وأنفها الدقيق المشرئب إلى أعلى ، وشفتاها الغليظتان المتكورتان ، ووجنتاها المشربتان بالحمرة ، فقد شكلت لوحة من الجمال المصرى الساحر الذى تجاهلته أم العريس تماما وكان الحفل خلا من كل البشر إلا ابنها وزوجها وأقاربها وأصدقاءها الذين تنقلت بينهم محيية هذا وملاطفة ذاك دون أن تمر ابتساماتها بأحد أعضاء الحزب الآخر !

تفنن المطربون والمطربات والراقصات فى تقديم أروع ما عندهم من فقرات قدموها كهدايا شخصية لنجم نجوم الكرة ! فقد كانت الشهرة التى سينالونها من جراء اشتراكهم فى الحفل أفضل بكثير من أى

أجـر مهما كان مجزيا ! بل إن إحـدى المطربات اللاتى وضعن قدمهن على أولى درجات الشـهرة اطلقت عقيرتها بغناء أغنية الفالس الشهيرة لليلى مراد : « أنا قلبى دليلى » وسرعان ما توقفت لتطلب من أعضـاء فريق الكرة الملتف حـول الكوشة ، أن ينهض كل منهم ليختار شريكته فى الرقص ، وليشكلوا دائرة حول العريس والعروس وهما يرقصان على إيقاع الفالس ٠ واستجاب الجميع بسرعة البرق ، إما مع زوجته أو خطيبته أو صديقته ٠ وبمجرد هبوط العريس والعروس إلى حلبـة الرقص دارت باقـة الراقصين والراقصات كورود وزهور تميل مع النسيم العليل ، برغم ان بعضهم لم يكن يجيد الرقص لكنه قلد الآخرين وسـط طوفان السعادة والنشـوة الذى غمر الجميع ، وبينهم تألقت سحر فى ردائها الوردى وهى تراقص ضياء ظهير الفريق الأيسر وصديق معتز منذ الصبا !

جلس عزمى وزوجته على إحدى موائد الصدارة فى مواجهة حلبة الرقص لتمتلىء عيونهم بجمـــال ابنتهما وهى تراقص عريسها فى ليلة العمر ٠ لكن سرعان ما انتقلت نظرات الأم إلى ابنتها سحر ثم قالت لزوجها بصوت ذى رنين واضح برغم دوى الفرقة الموسيقية :

ـ أراك مرتاحا للصداقة النامية بين سـحر وضياء ؟!

ـ انت تعرفين نظرتى فى الناس ٠٠ ضياء شاب جاد للغاية ٠٠ وبرغم أنه صـديق عمر معتز إلا أنه يكاد يكون نقيضه تماما ٠٠ فبرغم نجوميته فى خط الدفاع فإنه لم يهمل دراسته بل تخرج فى كلية الحقوق بتقدير جيد جدا ورفض العمـل بها معيدا عندما وجد أن فرص العمل فى الإدارات القانونية لشركات الاستثمار تبشر بمستقبل أكثر إشراقا !!

تساءلت ضاحكة وهى تضـم أضـلاع مروحتها السوداء لتغلقها :

ـ ولهذا السبب رحبت به يوم جاء لأول مـرة إلى بيتنا مع معتز ؟!

ـ وهو يعلم جيدا أننى أرحب به فى أى وقت ٠٠ بل أعتقد أن ارتبـاط سـحر به كان الدافع وراء تفوقها هذا العام وحصولها على مجموع كبير !

تساءلت بنفس الدعابة المرحة :

– وهل تعتقد أن إصرارها على الالتحاق بكلية الحقوق كان نتيجة لسيرها على نهج سارة أم نهج ضياء ؟!

– أعتقد أن نهج ضياء أقوى من نهج سارة التى يحاول معتز منعها من مواصلة دراستها حتى لا يصبح لها أى كيان سوى أنها حريم سيادته !!

– هل لاحظت تجاهل أمه وأبيه لنا سواء فى أثناء الزفة أو قطع التورتة أو افتتاح البوفيه ؟! يظنان أن ابنتنا أصابت ابنهما المعجزة بالصمم والعمى فلم يعد يسمع أو يرى سواها !! ويتجاهلان الأطباء والمهندسين والمحامين النابغين الذين تقدموا لطلب يدها ورفضتهم من أجل سواد عيون لاعب الكرة الذى لا يملك فى الحياة سوى قدمه وثروة أبيه .. فهو وحيده ولن يرثها أحد غيره !!

– برغم إيمانى بالجهد والمثابرة والتخطيط .. فلايزال الزواج مسألة قسمة ونصيب .. ولا تنسى أن سارة ومعتزاً قد تربيا معا منذ الصغر .. وكانت حديقتا الفيلتين بمثابة ملعب لصباهما المبكر .. وكم حاولنا .. سواء نحن أو أسرة معتز .. أن نفصل بينهما .. فلم نجن سوى بكاء سارة المتواصل ..

وإضراب معتز عن الطعام !! وأجبرنا هذان « المفعوصان » على التعامل مع أسرة لا نحبها ولا تحبنا !

ـ ومع ذلك فانا مؤمنة بأنه لو وجد معتز أجمل من ابنتنا لتركها لغيرها ‥ فلاعبو الكرة عقولهم فى أقدامهم !!

ـ ليسوا كلهم ‥ فضياء يحكم عقله فى كل شىء ‥ لدرجة أنه قرر الاعتزال بعد عامين أو ثلاثة حتى يترك الكرة وهو فى قمته قبل أن تتركه هى ‥ وحتى يتفرغ لعمله القانونى ‥ بل إنه يطمح لإنشاء مكتب للمحاماة والاستشارات القانونية فى مدى عشر سنوات !

وتواصل الحفل حتى مطلع الفجر بين مواكب الأناقة ، والصدور والأعناق والأذرع المرصعة بأثمن الجواهر والأحجار الكريمة والمعادن الثمينة ، والفساتين البيضاء والسوداء والقمصان البيضاء والساعات الذهبية ، والعطور الباريسية التى فاحت لتمتزج ببعضها البعض فى تآلف يثير عطراً فريداً من النشوة السابحة بين طيات الأحلام ! وأدخنة السيجار النافذة المتصاعدة مع دقات الفرقة الموسيقية التى

اخترقت الصدور قبل الآذان حتى دب ارتخاء التعب والإرهـاق فى الأعصـاب المنتشـية ، وداعبت بوادر النعاس جفون الذين تجاوزوا منتصف العمـر فداعب منظر الفراش الوثير خيالهم !

قامت الراقصـة بزفة العروسين حتى جناحهما بالفندق ، وسرعان ما أغلق البـاب عليهما ليستقبلا ليـلة العمر التى طالمـا حلما بهـا . لكن سـارة كانت متعبة ، أما حيوية لاعب الكرة ولياقته البدنية فلم تتأثرا بإرهاق الليلة الطويلة . جلس إلى جوارها وقال لهـا :

– هذه ليلة حرام فيها النوم !

أجابته سارة بجفون أثقلها النعاس والتعب :

– لا أعرف ماذا أقول لك يا ميزو .. الأيام الأخيرة كانت فى غاية الإرهاق .. لم أكن أنام أكثر من ثلاث أو أربع ساعات فى اليوم الواحد !!

– أضيفى هذه الليلة إلى ليالى السهر السابقة !

(٣)

كانت رحلة شـهر العسـل إلى مغانى إيطاليـا وفرنسا وإنجلترا ، سلسـلة متصـلة من الأحـلام والأطياف السارية بين طيات الخيال السـابح على أمواج الواقع بأذرع أثيرية وسيقان بلورية ! لم يعـكر صفو سارة سوى ملل معتز ورغبته الحارقة للعـودة للتصفيق والهتاف والأضواء ! فى مصر كان يتضايق ويتأفف من هجوم المعجبين عليه حيثما وجد ، فقد تشبع بالإعجاب حتى الثمالة ، لكنه فى أوروبا شعر بحجمه الضخم وهو يتضاءل بين الناس الذين لم يلتفتوا إليه لأنهم لم يشعروا بوجوده أصلا !

كان حنينه إلى مصر ممضا قاتلا عند البداية ! فى إيطاليا لم يشعر بسحر البندقية وهـو على متن الجندول السابح فى قنواتها التى يفترشها ضوء القمر ويهتز سطحها مع أغانى بحـارها ! كان ينظر إلى سارة نظرات ناضحة بالوجد والوله من حين لآخر لكن شروداً خفياً كمن تحت هـذه النظرات ! وفى روما ألقيا ببعض الليرات المعدنية فى نافورة تريفى على

طريقة العشاق الذين يسعون لتحقيق أمانيهم التى ينطقون بها فى أثناء إلقاء العملات ، وعندما سألته عن الأمنية الخفية التى تمتم بها قال دون تردد :

– تمنيت أن يصل سعرى فى سوق نجوم الكرة الدوليين إلى عشرة ملايين دولار على الأقل !!

ابتسمت سارة فى سعادة باهتة إذ توقعت أن تكون أمنيته عن مستقبل حياتهما الزوجية ! لكنها التمست له العذر فهو فى أوج مجده وشهرته ، والكرة هى حياته وأمله ! ولذلك كانت تشاركه مشاهدة مباريات الأندية الأوروبية التى يذيعها التليفزيون ، ولم تبد أى تبرم بالمكوث فى الفندق أمام التليفزيون بدلا من التريض فى شوارع روما والبندقية ! وعندما قادهما المرشد السياحى إلى مبنى الكولوزيام الأثرى فى روما وشرح لهما كيف كانت تقام مباريات المصارعة بين البشر والأسود وسط تصفيق الإمبراطور وحاشيته وهرج المتفرجين وصخبهم ، وكيف أن الرياح عندما تهب وتتسلل من فتحات المبنى الدائرى ليلا تحدث صوتا كهتاف الجمهور وتصفيقه حتى الآن ، علق معتز فى أذن سارة قائلا :

– إن صوت الرياح التى تدور بين المدرجات

الحجرية القديمة لا يردد هتاف المتفرجين وتصفيقهم منذ أكثر من ألفى عام .. ولكنه يردد دوى الهتاف والتصفيق الذى يصم أذنى كلما أحرزت هدفا !!

ربتت سارة على يده فى حنـان دافق وواصلا جولتهما السياحية فى صحبة المرشـد الذى ينطـق الإنجليزية بلكنة إيطالية ، ونظـرا لإنجليزية معتز الركيكة فإنه لم يلتقط منه سـوى حكاية الهتـاف والتصفيق ، ورفض محاولات سارة المتكررة لتوضيح ما غلق عليه !

وفى باريس تضاعف ملل معتز برغم زيارات برج إيفل والسهر فى المولان روج والتريض فى الشانزلزيه ! وكانت سـارة تتمنى زيارة متحف اللوفر لمشـاهدة روائع اللوحات والتماثيل لمشـاهير الفنانين الذين سمعت وقرأت عنهم كثيرا ، لكن معتزاً فضل مشاهدة مباراة فى تليفزيون غرفتهما بفندق « كريون » الذى كان يطل على ميدان الكونكورد الذى تقف فى منتصفه المسلة المصرية شامخة تطاول السحاب ! فما كان من سارة سوى أن تركت جلسة التليفزيون المملة لتملأ عينيها بالمسلة المصرية خلف نافذة الغرفة التى تطل على قلب الميدان !

لكن ملل معـتز سرعان ما انقشـع عندما كانا يتجولان فى ميدان البيجـال فلمحته مذيعة مصريه منتدبة للعمـل فى محطة مونت كارلو . كم كانت سعادته غامرة عندما فاجاته بهذه الكلمات المتسائلة فى دهشـة :

ـ كيف يكون الكابتن معتز فى باريس ولا نعلم بذلك ؟! لن تهرب منا قبل أن تدلى بحديث خاص لإذاعة مونت كارلو !!

وكانت أجمل لحظات معتز عندما ذهب إلى إذاعة مونت كارلو ليدلى بحديث لمدة ساعة ونصف . اعتبرته الإذاعة سبقاً إذاعياً وبشرت به جمهورها وكررت على أنه سيذاع على ثلاث حلقات فى ثلاثة أيام متتالية ! ونظرا لسفرهما فى اليوم التالى إلى لندن فقد اتصل معتز بأبيه فى القاهرة طالباً منه تسجيل الحديث !

أما فى لندن فقد توقفت الجولات السياحية تماما بعد زيارة برج لندن ومشاهدة جواهر التاج البريطانى! فقد نزلا فى فنـدق « كلاريدج » القريب من شـارع أوكسفورد الزاخر بالعـرب والمصريين الغـادين والرائحين والمتسكعين أمام فترينات المحلات ! وسرعان

ما تعرفوا عليه طالبين الفوز بتوقيعه على أية ورقة أو كم قميص أو منديل ! بل طلب بعضهم زيارته فى الفندق للتمتع بالحديث معه ! كانت بهجته لا توصف ! وتضاعفت بهجته عندما اكتشف وجوده بعض الأمراء العرب المقيمين بالفندق ، فإذ بهم يهلون عليه مرحبين مهللين ، بل أصر بعضهم على استضافته بدفع حسابه فى الفندق ! وكان قد قابل بعضهم من قبل فى القاهرة وتوطدت أواصر الصداقة بينهما • نسى معتز لندن وزيارة معالمها السياحية مع سارة ، وانهمك صباحاً ومساءً فى صحبتهم وتبادل أطراف الحديث وتناول الطعام معهم • ولم يعكر صفوه سوى قول أحدهم فى نهاية إحدى السهرات :

ـ والله يا أخ معتز •• بعد اعتزالكم بإذن الله •• أود أن تعمل مدربا لفريق النادى الذى أرعاه برياستى الشرفية •• وساقدم لك شيكاً على بياض تكتب فيه المبلغ الذى تريده !!

لأول مرة تصطدم أذنا معتز بكلمة «الاعتزال» ، فحطت عليه سحابة من الكآبة ، وخاصة أنه بطبيعته نهب لأحاسيس التفاؤل والتشاؤم ! شرد بفكره وتاه الرد الذى يمكن أن يشتت به الكآبة الجاثمة على كاهله ! كرر الأمير الخليجى كلماته ببطء أشد ونبرات

أعلى ! كان معتز على وشك أن يقول له إنه لا يحب الحديث عن هذا الموضوع الكئيب لكنه استعاد قياد عقله وقال بكآبة غير خافية :

ـ لم أفكر فى هذا الموضوع .. وعندما يحين وقته سأتصل بسموكم !!

وبعد هذه السهرة تاقت نفسه لمصر ومعسكرات التدريب والجمهور الحبيب الذى يعلق صوره فى المحلات والمقاهى والأندية والبيوت ، ويرتدى الشباب والفتيات صورته المطبوعة على صدور فانلاتهم ! ولذلك كانت أسعد لحظات عمره والطائرة تنطلق على ممر الصعود فى مطار هيثرو فى طريقها إلى القاهرة ! لم يشارك سارة حرصها على متابعة معالم لندن التى تتضاءل بين طيات الضباب والطائرة تواصل الارتفاع : برج البريد وبرج لندن ونهر التيمز والقصور القديمة وعمائر الصلب والزجاج الحديثة وحديقة هايدبارك وغير ذلك من المعالم التى تلاشت تماما تحت السحب التى خاضتها الطائرة كأمواج القطن المندوف ! كانت قمم الجبال المتوجة بالجليد تبدو عندما ترق السحب ويشف الضباب عن بعض الطرق التى تذرعها السيارات كعلب الكبريت

الصغيرة ، وبعض الأنهـار والبحيرات التى تومض تحت أشعة الشمس ، لكن قلب معتز كان قد سـبق الطائرة إلى القاهرة ٠ مرت الساعات بطيئة حتى أعلن القائد الاقتراب من القاهرة وطلب ربط الأحزمة وإطفاء السجائر فما كان من لسان معتز سـوى أن لهـج :

ـ أخيرا ٠٠ يا قاهرتى العزيزة !

* * *

(٤)

عاد معتز إلى جمهوره الحبيب المجنون به ، وإلى انتصاراته المدوية داخـــل مصر وخارجها ، سواء مع فريق ناديه أو فريق مصر القومى ٠ لكن مع تصاعد أمجاده كانت سعادة ســارة تتراجع إلى الخلف دون أن تبث همومها لأحد ! كانت تستخدم أقراص منع الحمل لرغبتها فى إكمــال دراستها فى الحقوق قبل أن تنشغل فى عملية الإنجاب ، لكنهــا فوجئت بإصراره على عدم استخدامها لأنه تزوجها لتكون له أسرة ولتنجب له البنين والبنات ، وليس لتصبح محامية أو مستشارة قانونية ، وخاصــة أن الخير كثير بل أكثر من اللازم ، وليس هناك أدنى حاجة لدخلها من أية وظيفة ! وكم حاولت أن تشرح له أن المسألة ليست مجرد دخل ولكنه تحقيق للذات ! فما كان منه سوى أن قال :

ـ وهل هنــاك تحقيق لذاتك أروع من كونــك زوجة ميزو ؟!

ـ أنا أعلم أن الكل يحسدوننى على ذلك ·· لكن هل يضايقك أن تصبح زوجتك حاملة لليسانس الحقوق ؟!

ـ ما يهمنى أساسا أن تصبح حاملة لطفل يحمل اسمى !

ـ وهل هذا يتعارض مع إكمالى لتعليمى الجامعى ؟! لى أكثر من زميلة ·· زوجة وأم ·· ومنهن من هى ثرية للغاية ·· ومع ذلك حريصة على الليسانس ·· وزوجها يشجعها على ذلك حتى لا تعانى من الفراغ ·· فبيتها به الدادة والشغالة والطباخ !

ـ لا أحب أن آكل إلا من يد زوجتى الجميلة !
لم تعد تستجيب لعبارات الغزل التى يخفى بها نواياه التى بدأت تكشف عن نفسها وبسرعة غير متوقعة جعلت كلمات أبيها القديمة تلح عليها كوخز الإبر ! قالت بحسم قدر إمكانها :

ـ لو كنت فاشلة فى دراستى لقبعت فى عقر دارى كالعوانس أو العجائز ·· لكن طالما أننى

نجحت فى السنة الأولى بتقدير جيد جداً .. فحرام أن أدير ظهرى لهذا النجاح بهذه البساطة !!

– حياتك الزوجية أولا وأخيرا !

– أحببت دراسة القـانون حتى أصبحت قراءة كتب القانون هواية محببة إلى نفسى !!

– لك أن تقرئى ما تشائين من كتب قانون أو غيره ! لكن ليس هناك داع للذهاب إلى الكلية !!

لم تتصور أن مقاومته لها ستسفر عن هذا الوجه البشع وكأنها فقدت حريتها تماما فى التصرف بمجرد زواجها منه ، فى حين أن أباها فى سنوات صباها كان يأخذ رأيهـا فى كل ما يمسـها من قريب أو بعيـد ! حاولت مقاومة زحف الكابوس الذى يحاول أن يجثم على كاهلها :

– أعدك بأنه إذا رزقنا الله بحمـل مبكر ففى استطاعتى أن أعتذر عن عدم دخول امتحان هذا العـــام !!

– ومن سيقوم بتربية الطفل وخاصة فى أعوامه الأولى ؟! هل سنتركه للدادات مثل زميلاتك ؟!

لم تعرف أنه يجيد الالتواء أيضا ، لكنها واصلت صمودها :

ـ فى إمكانى أن أعتذر عن عدم دخول الامتحان لـمـدة عامين ٠٠ والعام الثالث بشهادة مرضية بشرط أن تقبلها إدارة الكلية !!

كانت تحاول الالتقاء معـه فى منتصف الطريق بقدر الإمكان ، لكن يبدو أنه سعد بموافقتها على الابتعاد عن الدراسة لمدة ثلاث سنوات تكون فيهـا قد فقدت الحمية وانشغلت بشئون بيتها ! ومع ذلك تساءل وهو يتأمل عينيها العسليتين الواسعتين اللتين فقدتا بعضا من بريقهما :

ـ وماذا لو لم يحدث حمل ؟!

كانت ســارة تخطــو على أولى درجات سـلم الدهــاء :

ـ هــذا أمــر فى علم الله ٠٠ ليس لبشر أن يحكم فيه !!

واصل تساؤله الملح الممض :

ـ هل ستعودين إلى الكلية ؟!

ـ اتركها لإرادة الله ٠٠ فنحن لا نعـرف ماذا يمكن أن يقع لنا بعد لحظة واحدة من الآن !

ـ وأين إرادة الإنسان ؟! أليسـت له إرادة ؟! لقد قررت أن أصـبح أعظم قلب للهجـوم فى تاريخ الكرة المصرية ٠٠ وكان لى ما أردت !!

ماذا تفعل فى مواجهة هذا الغرور القاتل الذى أوشك على خنقه ؟! لم تحتمل الوميض الأخضر فى عينيه فأشاحت بوجهها وهى تنتقى كلماتها :

ـ إنهـا هبـة من الله عز وجل ٠٠ وعليك أن تسبح بحمده ليل نهار ٠٠ حتى يحفظها لك !!

لم تخل نبراته من رنة سخرية خفية :

ـ يبدو أنك ستعتزلين القانون لاحتراف الوعظ والإرشاد ؟!

لم ترد لأن وجهه امتقع بعض الشىء ! فهو لا يكره شيئا أكثر من سماع كلمة « الاعتزال » ٠٠ فهى والموت فى نظره صنوان ! وكان هو الذى ذكرها هذه المـرة فلطمته موجة مفاجئة من التشاؤم ! واصلت سـارة تأمله دون أن تفتح فاها بكلمة لعل خوفه من المجهول

يحد بعض الشيء من غروره الذى صور له أن فى مقدوره أن يأتى بالمستحيل !

لم يحتمل نظراتها فنهض وهو ينظر إلى ساعة يده الذهبية :

ـ سأتأخر فى النادى .. لابد أن نخطط جيدا لانتخابات مجلس الإدارة الأسبوع القادم !

ـ سأذهب لقضاء السهرة مع بابا وماما وسحر !!

كان على وشك أن يقول لها : ولماذا لا تقضينها مع أبى وأمى ؟! أو لماذا لا يأتون هم إليك ؟! لكنه أدرك سخف السؤالين فقال لها فى عجلة من أمره :

ـ كما تحبين !

وخرج كعادته لينغمس حتى أذنيه فى عالمه الكروى ، وليتركها لحيرتها بعد أن وضعها فى مفترق طرق مسدودة ! ولم تجرؤ على مفاتحة أبويها بما جرى بينهما بعد أن تنبأ أبوها بمعظم تفاصيله ! ومع ذلك كانت تحس براحة نفسية فى وجودها معهم ، فهم لايزالون سندها الأساسى فى الحياة بعد أن شرع السند الذى طالما حلمت به فى التآكل والتفتت كجدار من رمال !

ظلت تفكر فى كل الاحتمالات والتوقعات حتى أضناها التفكير ! ولم تسقط من حسابها احتمال مواجهة عاصفة معه إذا استمر فى هذا الاتجاه الذى لا يرى فيه سوى نفسه ورغباته وطموحاته وذاته التى تتضخم بين لحظة وأخرى حتى أوشكت أن تسد عليه منافذ التواصل مع الآخرين ! وفى النهاية سلمت أمرها كله لله ٠

وسرعان ما تجلت إرادة الله ! ذات مساء عادت سارة مع أمها من عيادة الطبيب ٠ فمنذ حوالى شهرين انتابتها بعض الحالات العصبية الغامضة التى أخفتها عن معتز الذى يقضى معظم نهاره بل وليله أحيانا فى النادى ٠ ثم أصابتها بعض نوبات متقطعة من الدوار والقىء ، فلم تجد مناصا من أن تفاتح أمها فيما يجرى لها ؛ فما كان من الأم سوى أن تصطحبها إلى الطبيب الذى كشف عليها ثم مد يده ليصافحها مهنئاً وابتسامة عريضة تفترش وجهه :

– مبروك ٠٠ أنت حامل فى الشهر الثالث !!

– ردت سارة وقد تضرج وجهها بحمرة غلفت الصفرة الزاحفة على وجهها فى الأيام الأخيرة :

– شكرا !

غمرتها أحاسيس متناقضة من النشوة والخوف ، من البهجة والقلق ، من الفرحة والحيرة ! لم تنم ليلتها فى انتظار عودة معتز من النادى ، لكنه تأخر كعادته فى بعض الليالى فغلبها النوم والساعة تتجاوز الثانية صباحا . وعندما استيقظت فى الصباح وجدته يغط فى نوم عميق فلم تشأ أن تقلق منامه وخاصة أنه بعد ساعات معدودة سيقود فريقه فى نهائى كأس مصر ! لم تعرف ماذا تفعل بنفسها ! قامت إلى الشرفة لتجمع صحف الصباح التى ألقاها الموزع منذ الفجر فيها ! تصفحتها دون أن تلتقط المعانى الكامنة فى السطور فاكتفت بمشاهدة الصور والتعليقات المكتوبة تحتها . ثم نهضت لتصنع لنفسها شايا باللبن ، لكنها لم تستطع أن تشرب أكثر من نصف الكوب ! وكانت تقفز من جلستها من حين لآخر كلما سمعت حركة معتز وهو يتقلب فى الفراش ، لكنها كانت تعود بخيبة أملها فى استيقاظه ! وأخيرا تمددت إلى جواره وهى تتأمل وجهه وقد أطبق شفتيه كطفل عنيد ! ملست على خصلات شعره الذهبية وقبلت جبينه فى حنان دافق ! لفحتها أنفاسه الدافئة الهادئة مع شبح ابتسامة عند أطراف عينيه وشفتيه ، وإحساس غامض مثير يدغدغ أعصابها كلما فكرت فى الكامن فى أعماقها والقادم من غياهب المجهول ! كانت تسمع عن الأمومة والآن تشعر بها بمجرد تأكيد الطبيب لها بأنها حامل ! إنها

الخصوبة والتجدد والاستمرار ، فهل يستطيع معتز أن يستوعب كل هذه المعانى ؟!

تقلب فى فراشه فاحتضنته دون تفكير فإذا به يفتح عينيه مبتسما لنظراتها المثبتة على وجهه وهمساتها المبحوحة :

– صباح الخير يا حبيبى .. استيقظت منذ الثامنة صباحا ومكثت ثلاث ساعات على أحر من جمر .. فعندى لك أجمل خبر يمكن أن تسمعه أذناك !!

فغر عينيه وانتفض جالسا وقد أخذها بين ذراعيه :
– أنت حامل ؟!

– وفى الشهر الثالث .. ذهبت أمس مع ماما إلى الطبيب !

صفق بيديه كطفل حصل على لعبة جديدة :

– كما خططت تماما !!

– قل .. كما شاء الله !!

لم يعر لكلماتها التفاتا بل واصل حديثه من طرف واحد :

ـ الآن تأكدت أنك لن تذهبى إلى الكلية !!

ذهلت لتعليقه المفـــاجىء فأجابته دون تفكير بسؤال مفاجىء :

ـ أهذا هو كل ما يهمك من الأمر كله ؟!

تراجع فى حرج بالغ :

ـ عندما يستيقظ الإنسان فجأة ٠٠ أو على خبر سعيد مثل هذا ٠٠ يمكن أن يتفوه بألفاظ بلا معنى !

لم تتخلص من نبرات خيبة الأمل :

ـ سأتقدم باعتذار عن عـدم دخـول الامتحان هذا العام ٠٠ إذا كان هذا سيرضيك ٠٠ لكننى لن أتراجع عن إكمال دراستى بطريقة أو بأخرى !!

قفز من الفراش متظاهرا بالمرح والدعابة :

ـ ليس هذا وقت النقاش والجدل ٠٠ وقد حل علينا الضيف الذى سيملأ علينا حياتنا مرحا وبهجة !

قالها وقد انحنى بقامته الرشيقة الفارعة ليربت على بطنها ، لكنها لم تتجاوب معه بل نهضت فى جدية بالغـة :

– ساعد لك الإفطار .. فالمفروض أن تكون فى الملعب بعد ساعتين على أكثر تقدير !

– ألم يحن الوقت كى تتابعى المبـــاراة من المقصورة مثل كبار القوم ؟! لا يصدق أحد أنك اعتدت مشاهدتها فى التليفزيون مثل كل الملايين !!

– أنا واحدة من هذه الملايين !

– كنت أظن أنك تهتمين بى أكثر من ذلك !

– أنت تعرف جيدا أنه ليس لى اهتمام فى هذه الدنيا سواك !

ثم أسرعت إلى المطبخ وهـــو فى أعقابها يطلق صفيرا جزلا ويردد أمنيات الثقة والغرور :

– وعدت مجلس إدارة نادينا بهدفين على الأقل فى نهائى كأس مصر !!

– لا تعد بشىء ! قل إن شاء الله ! كل شىء بإذنه ! كما أنك تعـلم كيف يخصص الخصـم ثلاثة لاعبين على الأقل لمراقبتك وشل فاعليتك !!

– أنت تعلمين اللقب الذى أطلقـه علىّ كبير

النقاد الرياضيين : على الزيبق !! هل يستطيع أحد أن يمسك بالزئبق ؟!

لم تحتمل نوبة الغرور التى اجتاحته فتركت له المكان ليتناول إفطاره الذى انتهى منه بأسرع ما يمكن ليرتدى ملابسه فى خفة الغزال · قبلها قبلة خاطفة وهــو يغمز بعينه عند باب الشقة :

ـ أحرزت معـــك هدفا باعتراف الطبيب ·· وسأحرز اليوم هدفين أو أكثر باعتراف الملايين !

اغتصبت ابتسامة على شفتيها وقالت وهى تتجنب نظراته :

ـ بالتوفيق ·· إن شاء الله !

وبمجــرد سماع محــرك سيارته الفارهة التى أهداها له أمير عربى ، جرت إلى غرفة نومها لتغيير ملابسها وقضاء اليوم مع أسرتها فى الفيللا المجاورة فى حين انطلقت السيارات المحمومة بأبواقها الصارخة فى طريقها إلى الإستاد وقد رفعت أعـلام الناديين الحمراء والبيضاء !

أما سارة فطاردت أمهــا فى كل أركان البيت

تسالها عن أعراض الحمل والوحم والآلام التى يمكن أن تصيب الأم مع المخاض والولادة ، والام تبتسم ابتسامة الخبيرة التى تهون عليها الأمر كله ۰ وبعد الغداء تجمعت الأسرة كعادتها القديمة أمام التليفزيون لمتابعة المباراة ۰

كان جمهور المتفرجين فى المدرجات والممرات يربو على المائة الف ، فلم يعد فى الإستاد موطىء لقدم ! وتألقت المقصورة بالوجوه الشهيرة التى شهد معظمها حفل الزفاف ، وسرعان ما نزل الفريقان إلى الملعب بالفانلات الحمراء والبيضاء وقد ضجت المدرجات بالطبول والأبواق والزمارات ، ورفرفت الأعلام الحمراء والبيضاء كأمواج البحر الهادر ، وانطلقت الحناجر بالهتاف الشهير على دقات الطبول :

– ميزو ۰۰ ميزو ۰۰ ميزو !!

اصطف الفريقان للصور التذكارية ، ثم تفرقا لحظة إجراء الحكم الإيطالى القرعة بين ميزو وكابتن الفريق الآخر ، وبدأت المباراة وسط وصف المذيع وتعليقاته اللاهثة بدون مبرر ، وخاصة عندما تلمس الكرة قدم ميزو الذهبية ! أما سارة فقد فقدت معظم حماسها التقليدى للمباراة وتبادلت الأحاديث الجانبية

من حين لآخر مع أمها ، فى حين كانت نظرات سحر تنضح باللهفة على ضياء من عينيها السوداوين كلما تصدى لهجوم الخصم ، فقد قال لها إن أخطر المباريات تكمن فى نهائى الدورى ونهائى الكأس ، ففيهما يستميت اللاعبون من أجل النصر بأى ثمن ، ويلجأ بعضهم إلى محاولات استعراضية جريئة هى فى حقيقتها محاولات انتحارية ! ولذلك كانت سحر مندهشة لبرود أختها أمام التليفزيون !

كانت الكرة تتنقل محمومة بين أقدام اللاعبين التى قطعت معظم التمريرات فى حين أحاط بميزو ثلاثة لاعبين كأنهم حاشية الملك أينما ذهب وأينما حل ، ومع ذلك عجزوا فى معظم الهجمات عن اقتناص الكرة من قدمه ! وفى هجمة خاطفة انطلق ميزو وهو يتلوى بالكرة يمنة ويسرة ودون أن يقترب من المرمى أطلق قذيفة لم يلمحها أحد إلا وهى فى شباك المرمى وحارسه ينظر إليها فى يأس وحيرة وكمد وسط دوى الهتافات والأغانى ودقات الطبول والأبواق ورفرفة الأعلام !

قبلت سحر أختها التى ربتت على ظهرها فى رقة فاترة ، لكن حمة المباراة زادت اشتعالا ، وفى الشوط الثانى تمكن الجناح الأيمن فى فريق الخصم

من تسجيل هدف التعادل فتحولت المباراة إلى منافسة مسعورة لإحراز هدف الفوز وخاصة أنه لم يتبق سوى سبع دقائق على نهايتها ، وتعلقت الأنظار بميزو الذى قطعت هجماته أكثر من مرة وسط هتافات ودقات طبول مشجعى ناديه مما ضاعف من عبء المسئولية الملقاة على عاتق ميزو وهو يسمع اسمه تردده الآلاف المؤلفة وكأنها تتوسل إليه ألا يخيب ظنها حتى لا تخرج من الملعب وهى منكسة الرؤوس ! استمات فى هجماته الانتحارية وتحول إلى طاقة عمياء لا ترى سوى المرمى وشبكته فى انتظار قذيفة النصر من قدمه الذهبية ! فجأة انطلق من اللاعبين الثلاثة وبمجرد أن فك الحصار المفروض عليه اجتاح خط الدفاع كالإعصار وسدد قنبلة كادت تمزق شبكة المرمى وسط طوفان التصفيق والهتاف والطبل الذى ناءت به المدرجات ٠ لكن فى وسط الحمى السارية بلسعتها فى كل العروق ، اكتشفوا معتزاً وهو ملقى على ظهره يتأوه وقد أمسك بركبته اليمنى ، وجسمه كله يتلوى ألماً ! لقد اعترضه أحد لاعبى خط الدفاع ليصطدم به فى اللحظة التالية لتسديد الكرة فطار فى الهواء ليسقط على ركبته وينقلب على ظهره ٠

انطفأ التصفيق ، وتحولت الهتافات إلى شهقات ، وأوقف الحكم اللعب ليرفع الكارت الأصفر فى وجه

اللاعب المعترض ، وانحنى على معتز وحوله تجمع لاعبو الفريقين ، والكاميرا تستعرض اللهفة على وجوه المتفرجين بما فيهم مشجعو النادى الآخر ٠ أما لهفة سارة فقد تحجرت بعد شهقتها التى انتفضت على أثرها واقفة فى مواجهة الشاشة وكلها آذان صاغية لصوت المعلق الذى ظل يهذى :

ـ إن شاء الله سليمة ٠٠ سينهض ميزو الآن ليتألق مرة أخرى أمام ملايين المعجبين ٠٠ لم يتبق على المباراة سوى ثلاث دقائق غير الوقت الضائع !

لكن نظرات سارة الملهوفة زاغت عبر كهوف المجهول والحكم الإيطالى الدولى يشير بيده إلى خارج الملعب ، فإذا برجال الإسعاف يهرولون بنقالتهم ، وسارة تشهق وتدق صدرها بكفها ، وسحر تحتويها بذراعيها فى محاولة لتهدئتها ٠ تابعت العيون الملهوفة فوق المدرجات وأمام الشاشات ميزو المستلقى على النقالة وقد أمسك بركبته ، وتحجر الألم فى وجهه ! وفقدت المباراة مذاقها بعد أن طارت القلوب وراء معبود الجماهير !

هجمت سارة على التليفون تحاول الاتصال بالنادى أو الإستاد لكن جميع الخطوط كانت

مشغولة ! هرعت مع أبيهـــا وأختها إلى السيارة لتنطلق بهــم إلى الإستاد لكن المبــاراة كانت قـد انتهت وتحولت الشوارع والطرق إلى يوم لحشر السيارات الزاحفـة على بطنها كالسلحفاة ٠ كان طريق الذهاب مفتوحا على مصراعيه ، لكن بمجرد بلوغ الإســتاد وعلمهم بنقـــل معتز إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى قبل انتهاء المباراة ، عادوا أدراجهم وسط السلاحف المعدنية الزاحفة إلى قلب القاهرة ! كادت سارة تموت اختناقا ورعبا وهلعا ، وهتف لسانها بصـــلاة صامتة كى يعيد الله زوجها صحيحا معافى !

وبعد حوالى ساعة ونصف من غرقهم فى بحــر العــرق وأمواج الاختناق بلغــوا المستشفى ليطووا ممراتها طيا حيث كان فى استقبالهم رئيس النادى وكبار الإداريين وبعض اللاعبين وفى مقدمتهم ضياء صديق عمــر معتز ! كانوا واقفين أمام باب غرفـة الكشف المغلق على كبار الأطباء الذين هرعوا لفحص معتز ! ابتسم ضياء لسحر ولسارة ولأبيها قائلا :

– إن شاء الله سليمة ٠٠ كل اللاعبين معرضون لمثل هذه الأشياء !!

مرت لحظات الفحص أثقل من لحظات اختراق الشوارع وسط حشر السيارات حتى فتح الباب وخرج كبير الأطبـاء ليفتعل ابتسامة على شفتيه اللتين تعلقت بهما سارة ٠ قال :

ـ الحمد لله ٠٠ الإصابة قاصرة على الركبة ٠٠ ويمكن إجراء العملية هنا ٠٠ لكننا ننصح بإجرائها فى إنجلترا ٠٠ فهناك طبيب عالمى اشتهر بها ٠٠ بالإضافة إلى وجود أحدث الأجهزة الطبية فى هذا المجال ٠٠ وليس هذا بكثير على ركبـة معتز التى انخلعت لها قلوب الملايين اليوم !

كانت سـارة تتابع الكلمات ذاهلة : إصابة ٠٠ ركبة ٠٠ إنجلترا ٠٠ عمليـة جراحية ، ثم لهـج لسانها دون وعى منها :

ـ هل أستطيع أن أدخل لأراه ؟!

ـ حضرتك زوجته ؟

ـ نعـــم ٠٠

ـ تفضـلى !!

وأفسح لها الطبيب الكبير الباب الموارب لتدخل مهرولة وتحتـوى زوجها بين ذراعيها وهى تنتفض باكية لكنه تماسك مبتسما :

ـ كان يمكن أن تكون مباراة العمـــر .. لكن يبدو أن عين أحدهم قد أصابتنى فى ركبتى !! فى المباريات القادمة لابد أن تبخرينى قبل النزول إلى الملعب !!

* * *

(٥)

لم تصدق سارة أن هذه هى لندن التى زارتها مع معتز منذ أشهر معدودة لقضاء شهر العسل ! فى هذه المــرة غلف الضباب كل الأشــياء ، وسرت قشعريرة رطبــة بمس كهربى خفى فى الأعصــاب المشدودة كأسلاك رفيعة . تحالف الضباب والرطوبة والأمطار مع كلمات أم معتز الموجهة كسهام مسمومة إلى قلب ســارة ! حتى فى جلستهما فى الاســتراحة المواجهة لغرفة العمليات فى أثناء إجـراء العملية ، لم ترحم عقلها المنصهر ولا قلبهـا المحترق ، وقالت لها على مسمع من الأب :

ــ لو كنت تهتمين به وتحضرين مبارياته مثل زوجات اللاعبين .. لمـا أصابه ما أصابه !!

كانت سارة على وشك أن تؤكد لها أنها ليست السبب فى اعتراض اللاعب له وإصابته فى ركبته بعد تالقه طوال المباراة ، لكنها لم تجد أية جدوى من الجدل العقيم فآثرت الصمت وقد تعلقت نظراتها بباب

الغرفة المغلق أو بساعة يدها تنظر إليها من حين لآخر ! ولم ينزل على قلب سارة بالبرد والسكينة سوى إحساسها بأنها فى قلعة الطب الحديث ، وبأن زوجها بين أصابع أكبر جراح عالمى اشتهر بهذه العملية ، برغم عدم ارتياحها للجدية الصارمة المرتسمة على وجوه الأطباء والممرضات والتى تصل أحيانا إلى حد التجهم والكآبة ، وذلك على النقيض من الأطباء المصريين الذين يبتسمون حتى لو كانت الحالة ميئوسا منها !! ومع ذلك فإن الجدية الصارمة مع الحالة المتماثلة للشفاء خير من الابتسامة المعسولة مع الحالة المتدهورة !

خرجت سارة من خواطرها المحمومة على صوت باب غرفة العمليات وهو يفتح ويبدو منه وجه الجراح الأبيض المشرب بالحمرة بلا أية مشاعر على الإطلاق ! هرعت إليه سارة وخلفها أم معتز وأبوه ، فإذ به يقول لها قبل أن تفتح فاها :

ـ العملية أوكى .. سيظل تحت إشرافى يومين أو ثلاثة فى المستشفى .. ثم يمكنه الانتقال إلى الفندق لمدة أسبوع .. بعدها يستطيع العودة إلى بلده .. لكننى سأزوده ببعض التعليمات وتدريبات العلاج الطبيعى التى سيمارسها لمدة أربعة أشهر أو أكثر !!

ـ ومتى سيعود للعب ؟!

ـ ليس قبل أن أتلقى تقريرا من الطبيب المصرى الذى سيشرف على علاجه الطبيعى !

ـ يعنى فى حدود كم شهر ؟!

ـ فى حدود ستة أشهر ٠٠ لكن ركبته ستحتاج إلى عناية ورعاية أكبر ٠٠ ويجب أن يحافظ عليها بعيدا عن أية تصادمات أو ضغوط ٠٠ لأننى أشك كثيرا فى عودته إلى اللعب لو أصيب فيها مرة أخرى !!

كانت سارة على وشك أن تقول :

ـ فال الله ولا فالك !

لكنها ابتلعت هواجسها لتسأله :

ـ وهل سيعود إلى مستواه ؟!

ـ آمل ذلك ! عن إذنك !

قالها وأسرع الخطى فى الممر اللامع بضوء المصابيح حتى ابتلعه أول منحنى ٠ لا تعرف لماذا تذكرت فى تلك اللحظة ضيق معتز بكلمات الأمير العربى الذى حدثه عن الاعتزال ورغبته فى أن يعمل مدربا لناديه الذى يرأسه فى الخليج ؟! ولماذا تذكرت

كلمات أبيها عن مأساة الإنسان الذى يعلق حياته ومستقبله ومصيره بلعبة لا يستطيع ممارستها سوى سنوات معدودة من عمره ؟! إن كلمة الطبيب الإنجليزى : « آمل ذلك » تعنى أنه ليس متأكدا ، صحيح أن هذه الكلمة شائعة على ألسنة الإنجليز الذين لا يبدون متأكدين من أى شىء ، فى حين يبدو المصريون متأكدين من كل شىء إلى درجة اليقين الذى لا يقبل الشك ، ومع ذلك فكلمة الطبيب لا تطمئن كثيرا ! وتصور حياة معتز بدون أمجاد الكرة شىء من رابع المستحيلات ! فهى ليست أهم شىء فى حياته لأنها حياته نفسها ! فكيف يمكن مواجهة الواقع الجديد إذا ما أصبح كابوسا جاثما على كاهلها لايمكن الفكاك منه ؟!

عندما أفاق معتز من المخدر التفوا حوله يداعبونه ويؤكدون له أنه مر بهذه التجربة ليلمس جنون الجماهير به ، حتى تلك التى تعيش فى الغربة . فقد كان الممر الذى تقع فيه غرفته يمتلىء يوميا بباقات الزهور والورود ، وتليفونه يدق بسؤال كبار المسئولين عنه : السفير المصرى فى لندن ، رئيس الجهاز الأعلى للشباب والرياضة من القاهرة ، رئيس ناديه ، رؤساء الأحزاب ، الأمراء العرب سواء من لندن أو الخليج ، نجوم السينما والتليفزيون الذين

يقومون بتصـوير مسلسلات فى لنــدن ، معظـم المصريين المقيمين فى لندن ؛ مما أنهك سارة فى النهاية وتمنت العـودة بأسرع ما يمكن إلى أرض الوطن ، وخاصة أن أعراض الحمل الأولى كانت قد تمثلت فى نوبات من الدوار والقيىء ، ومع ذلك قاومتها قدر إمكانها حتى تستقبل باقات الزهور وترد على رنين التليفون الذى لا ينقطع !

عادوا إلى القاهرة ليمارس معتز علاجه الطبيعى بهمة عالية ! لم يهتم كثيرا بعدم اشتراكه فى المباريات التمهيـدية للدورى ، ففى إمكانـه الاشــتراك فى المباريات النهائية أو قبلها ، وهى التى اعتاد التألق فيها ! لم يفقد تفاؤله برغم بعض لحظات الضيق التى كانت تمر به . فقد كان تطور علاجه يبشر بالخير ! تخلى عن عكازه فى وقت قياسى ، وسرعان ما ترك تدريبات المشى إلى تدريبات الجـرى إلى تدريبات الكرة . ولم يضايقه شىء مثل تحذيرات سارة المتكررة له بتجنب أية ضغوط أو تصادمات وكأنه أصبح ذا عاهة مستديمة لابـد أن يتذكرها فى كل لحظـة من لحظات حياته ! وخاصة أنه يشعر بأن ركبته قـد عادت إلى كامـل لياقتها ، وبأن تردده فى بعض الأحيان حين يسدد الكرة فى التدريبات يرجع إلى أثر

تحذيرات زوجته الملحة والممجة ، وهو ما يمكن أن يؤثر فيه فى مباراة عودته التى ينتظرها الجميع على أحر من جمر ! ولذلك كان عليه إما أن يسد أذنيه تماما فى مواجهة هواجس زوجته أو يصدها حتى لا تعود لتكرار تلك النغمة الممجة والممضة ؟! واختار الموقف الأخير لينهرها بشدة :

ــ أنا لست طفلا حتى تفرضى وصايتك علىّ بهذا الشكل !! أنا أدرى بمصلحتى !!

كانت بطن سارة قد تكورت واقتربت من شهرها التاسع فلزمت الصمت ولم تكرر ترديد مخاوفها ، وخاصة بعد أن وردت موافقة الطبيب الإنجليزى على عودته إلى المباريات . كان ناديه يستعد لمباراة ما قبل النهائى فى مسابقة الدورى العام ، ولم يعد حديث للصفحات الرياضية فى الصحف والمجلات أو البرامج الرياضية فى الإذاعة والتليفزيون سوى عودة ميزو إلى جمهوره الحبيب ، مما جعله يشعر بمسئولية مضاعفة مثل تلك التى غلبته يوم لعب أول مباراة له فى الدورى ! لكن شيئا غامضا كامنا فى أعماقه السحيقة أوحى إليه بأنه لم يعد ميزو المعجزة الخارقة لكرة القدم ! حاول طرد هذا الهاجس المقلق وإرجاعه إلى تحذيرات زوجته ومخاوفها التى يبدو أنها هزت ثقته

فى نفسه ، إذ أن لياقته البدنية عادت كما كانت من قبل تماما ! ومع ذلك واصل الهاجس إلحاحه عليه فتغاضى عنه ، لأنه سيتلاشى كالبخار بمجرد سماعه دوى هتاف وتصفيق الجماهير المتعطشة إلى فنه !

ويوم المباراة شاء القدر أن يتم نقل سارة إلى المستشفى بعد أن طاردتها آلام المخاض طوال الليل بعـــد أن نقلتها أمها إلى شقتها حتى يتفرغ معتز للنوم . وبالفعل نزل معتز إلى شقة أبيه ثم فضـل الابتعاد عن جو التوتر كله فذهب ليبيت فى المعسكر الذى أقامه النادى للاعبين قبل المباراة . كان ضياء فى صحبة معتز طوال اليوم محاولا إخفاء قلقه عليه ، وكان فى الوقت نفسه على اتصال مستمر بالمستشفى لعله يأتى لمعتز بخبر ينزل على قلبه برداً وسلاماً ، ويساعده على القيام بالأداء الذى يتمناه بعد غيبة طويلة وتتمناه معه الملايين ! وبالفعل اتصـل ضياء بالمستشفى فى تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ليعلم أن سارة وضعت رانيا منذ لحظات .

انطلق ضياء إلى معتز يحمل بين جوانحه البشرى التى ستدفع بـه إلى الطـيران فوق الملعب بدلا من الجرى بين اللاعبين ! كان معتز مستغرقا فى عملية التدليك عندما انحنى ضياء على أذنه وأسر بالخبر

السعيد الذى التقطته آذان اللاعبين فى الجمانيزيام فصفقوا مرحا ثم أقبلوا على معتز مهنئين . لكن ضياء أصيب بدهشة بالغة عندما وجد علامات الإحباط وخيبة الأمل على وجه معتز وهو يقول بنبرات متلكئة خفيضة :

ـ كنت أتمنى أن يكون لى ولد يحمل اسمى من بعدى !!

لم يتمالك ضياء نفسه من أن يقول متسائلا فى سخرية :

ـ وهل ستحمل ابنتك اسم الجيران ؟!

كان المدرب الأجنبى الذى يفهم العربية ويتعامل بها فى بعض الأحيان قد التقط الحوار فانضم إليهم مهنئا معتزا ثم أضاف :

ـ تاريخ الكرة المصرية هو الذى سيحمل اسمك طالما وجدت الكرة !

انتهى معتز من عملية التدليك ليغرق مرة أخرى فى الصحف والمجلات ويتأمل صورته على أغلفتها وعلى صفحاتها الداخلية ، وقارئا فى تمعن المقالات

والتعليقات التى بشرت الجماهير بعودة نجم النجوم ميزو المعجزة . وكان ينظر من حين لآخر فى قلق إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار المقابل ثم إلى زملائه الذين يقومون بعمليات التسخين اللازمة وبينهم ضياء الذى كان يتأمله متعجبا ! هرب من قلقه وحرجه بالانضمام إليهم ! تأكد ضياء أن قلقه لم يكن على زوجته ، فالخبر السعيد لم يقلل من توتره الذى يحاول أن يخفيه عن عيون الآخرين !

فى تمام الساعة الرابعة بدأت المباراة وكاميرات التليفزيون وعدسات المصورين تتابع معتزاً حيثما جرى . عاد إلى قمة ثقته بنفسه بمجرد هتاف المتفرجين باسمه ، وانطلق بالكرة كالغزال ، وتجنب كل لاعبى الخصم الاصطدام به ، مما جعله ينفرد بالمرمى مرتين ، لكن القذيفة لم تكن بقوتها المعتادة فسقطت فى يد حارس المرمى الذى استحوذ على إعجاب الجمهور مما طاش بصواب معتز الذى تأكد أن ركبته لم تعد تساعده على إطلاق قذائفه الصاروخية ، القديمة ! فقد تلاشى الخوف والقلق لكن ما العمل وهذه الركبة اللعينة تجعله يبدو فى مظهر عادى لم يكن يتصوره فى أشد كوابيسه وطأة ؟!

انتهت المباراة بالتعادل بلا أهداف وإذ بالصحافة

تؤكد أن قلق ميزو على زوجته هو الذى صد كراته وأبعدها عن المرمى ، ولو كانت زوجته قد وضعت طفلتها قبل المباراة لرأت الملايين إعجاز ميزو القديم ! لكن هذا الإعجاز لم يظهر فى المباريات التالية سواء فى نهائى بطولة الدورى العام التى فاز بها نادىء ولكن بفضل هدافين تألقا فى غيابه واستطاعا أن يجعلا النتيجة هدفين مقابل هدف واحد . ثم جاءت مباريات الكأس لتؤكد أن ركبة معتز لم تعد تحتمل الجهد المتواصل لدرجة أن المدرب منعه من إكمال الشوط الثانى فى آخر مباراة !

تفاقمت الأمـــور واجتمع مجلس إدارة النادى بمدير الكرة والمدرب لبحث حالة معتز الذى أصبح كالثور الهـائج رافضا كل الاقتراحات التى عرضت عليه ؛ ومنها الراحة الكاملة لركبته لمـدة عام على الأقل حتى تستعيد قوتها ، ومنها السفر إلى الخارج ليتلقى مقرراً أو منهجاً للتدريب يعود بعـده مدربا لفريقه بدلا من المدرب الأجنبى ... إلخ . أما كلمة « الاعتزال » فكانت تحوله إلى إعصار لا يهـدأ إلا بعد أن يقع فى أكثر من خصومة ، مما دمر جسوره مع الآخرين جسراً بعد جسر !!

لم يواجه المسئولون فى النادى مشكلة حرجة مثل

معتز من قبل ! فإنجازاته فى النادى وأمجاده فى المباريات القومية لا يمكن نسيانها ، وهو متشبث بها تشبث الغريق بقشة ؛ وفى الوقت نفسه يقوم بإهدار تاريخه كله بإصرار على التواجد فى الملعب لأنه لم يعد يطيق العيش بدون الأضواء والهتافات والأبواق ودقات الطبول ، بل إنه يقضى كل وقته فى المنزل يتابع فى الفيديو كل أفلام مبارياته التى حقق فيها أمجاده السابقة وكأنه يعيشها تماما !

لم يجرؤ أحد من المسئولين على حسم الموضوع ، وفضلوا تركه للزمن ! فالجمهور الذى طالما هتف باسم ميزو ودق الطبول وأطلق الأبواق مهللا له ، يمكن أن يقابله بالصفير وهتافات الاستنكار والسخرية ! وبدلا من أن يصبح شهيد مجلس إدارة النادى وقراراته المتعسفة ، يجد نفسه تحت أقدام الجماهير التى رفعته على الأعناق ذات يوم ! وهذا ما وقع له فى أولى مباريات الموسم التالى والتى أكدت نهاية أسطورة ميزو . فقد طلب بنفسه الخروج من الملعب لعجزه عن إكمال المباراة ، وهرع إلى غرفة تغيير الملابس ليبكى بكاءً مراً وحوله رئيس مجلس إدارة النادى ومدير الكرة والمدرب الذين طيبوا خاطره وهو ينتفض مثل طفل بين أيديهم ؛ وانتهزوا الفرصة وفاتحوه فى موضوع الاعتزال وإقامة مباراة تاريخية

له ، لكنه رفض الفكرة كلية لأن التحول من اللعب إلى التدريب لا يعنى الاعتزال وإنمـــا الاستمرار والعطاء فى مجال الكرة !

ســـعدوا باقتناعه بالتحـــول إلى التدريب ، فخبراته وقدراته يمكن أن تصنع منه مدرباً قديراً يوفر على النادى العمـلة الصعبة التى يصرفها على المدرب الأجنبى ! وسرعان ما جرت الاتصالات مع نادى بايرن ميونخ بالمـانيا ، ولأول مرة فى حياته كان معـتز سعيداً بها وكأنها الحبل الذى ألقى به إليه لإنقاذه من الكابـوس الحـى الذى يرزح تحت وطــأته ! وسبحان مغير الأحوال ! فى شهر العسل كان يتحرق شوقا للعودة من أوروبا إلى مصر ، والآن يشتعل رغبـة فى الانطـلاق إلى ميونخ دون أدنى رغبة فى اصطحاب زوجته وابنته معه ! ولذلك ارتاح لتذرع زوجته بالبقاء فى مصر لرعاية ابنتها وتوفير مصاريفهما التى ستضيع بلا مبرر ! ولذلك بدا السفر للتدريب حلا مرضيا لجميع الأطراف !

* * *

(٦)

خرجت سارة من دوامة معتز بمجرد سفره إلى ألمانيا ! رأته أخيرا فى ضوء ساطع كشف كل كهوف نفسه ودهاليزها المظلمة ، فانقشعت كل الهالات البطولية التى أحاطت به منذ سنوات مراهقتها الأولى . فقد بدا عاجزا تماما عن استيعاب الأزمة التى مر بها ، وبدلا من مواجهة المستقبل تشبث بأهداب الماضى ورفض الخروج من إساره ! وتمثلت مأساة سارة الكبرى فى أنه اعتبرها جزءا لا يتجزأ من ذلك الماضى السعيد ، ولذلك أجبرها أكثر من مرة على زيارة الشجرة النائية فى أحد أركان النادى والتى حفر عليها اسميهما داخل قلب يخترقه سهم وقد كتب عليه : للذكرى الخالدة : سارة ومعتز ! وكان مجرد رفضها لهذه الزيارة السخيفة المتكررة بأية حجة لا يعنى عنده سوى أنها لم تعد تحبه !! كما كان يجبرها على مشاهدة مبارياته القديمة فى الفيديو حتى حفظتها عن ظهر قلب وأصابتها بملل قاتل ! وعندما كانت تأوى إلى الفراش كان يجبرها

على تصفح الصحف والمجلات القديمة التى سجلت أمجاده بالصورة والكلمة !

وعندما شعر بمللها بل ومقاومتها الخفية لجـأ إلى أصدقائه ، وخاصـــة الطفيليين منهـم والذين استمرءوا المـآدب التى كان يقيمها لهم ســـواء فى البيت أو النــادى ليستذكر معهم أمجاده الغـابرة ! وقـــد حفـظ معظمهم الملاحظات والتعبيرات التى تسعده ، فظلوا يرددونها كأسطوانة مشروخة وهم يتابعون معه أمجاده الغابرة ســواء فى الفيديو أو الصحف والمجلات التى قام بتصنيفها تاريخيا وكون منها مكتبة رياضية صغيرة ! وبعد ذلك بدأ بعضهم فى الاستدانة منه ، فرحب بمنحهم ما يريدون دون أن يفكر فى استرداده ! فقد اكتفى بنفاقهم وسعد به فى مقابل المبالغ الباهظة التى كان ينفقها عليهم ! ولذلك كانت بعثة التدريب ـ فى نظر سارة ـ بمثابة انتشاله من قاع بئر النفاق الذى سقط فى أغواره المظلمة .

وكان النادى قد قرر صرف مكافأة كبيرة لمعـتز بعد اعتزاله الذى لا يريد الاعتراف به ، لكن رئيس النادى كان قد استمع ذات مرة لسارة وهى تشكو له نزق معتز وإهدار أمواله على المنافقين والمنتفعين ، فقرر شراء بوتيك باسمه من البوتيكات التى بناها

النادى بطول سوره ، بحيث يمكن أن يستغله فى أى مشروع يعود عليه بربح مجز ، وخاصـة أن بعض زملائه اشتروا بالفعل بوتيكات خصصت لبيع الأدوات الرياضية أو الأحذية أو الأجهزة الكهربية ... إلخ . وبذلك تضمن سارة الحفاظ على المكافأة من الضياع ، وخاصة أن سعر العقار فى ارتفاع دائم فى حين يعانى الجنيه المصرى من انخفاض قوته الشرائية باستمرار !

وإذا كان الأمر قد اقتصر على المنافقين والمنتفعين والطفيليين العابرين لهان على سارة ، لكن معتزاً كان على استعداد لفتح أحضانه لكل من يضرب على أوتار أمجاده الغابرة ، حتى المشبوهين الذين تثار حولهم الشائعات والأقاويل والشكوك من أمثال شيحة مستأجر بوفيه النادى وإيناس التى تعمل معه والتى تقول إنها خطيبته ، فى حـين لا يعلم أحـد حقيقة العلاقة الغامضة بينهما ! وبرغم أن أحدا لم يستطع أن يثبت هذه الشكوك والشائعات فإن معظـم رواد النـادى كانوا متأكدين من أنهما يروجان الحبـوب المخدرة بين الشباب بصفة خاصة ! وقد وضع رئيس النادى عيونا يقظة عليهما لكن لم يثبت عليهما أى دليل مادى ملموس . ومع ذلك لم تحتمل سارة أن يكون هذا « الشيحة » ضيفا على مائدة معتز سواء فى البيت أو النادى لمجرد أنه يرصع جدران البوفيه

بصـوره الفوتوغرافية الملونة ولا ينـاديه إلا بلقب « كابتن مصر » !

ومع ذلك لم يخـل الأمـر من إيجابيات غـير متوقعة ، غمرت قلب سارة بأمواج دافقة من السعادة والنشوة ، برغم أن هدف معتز كان تعويق سـارة عن الذهاب إلى الكليـة وإكمـال دراسـتها . لكن إنجاب رانيا أضاء فى جوانحها كل أنوار الأمومـة التى سمعت عنها كثيراً ، وخاصة من أمها ، لكنهـا خبرتها أخيرا ! كانت النظرة العابرة لوجه رانيا كفيلة بانقشاع كل الضباب والغيـوم الكئيبة التى خيمت على حياتها مع معتز ! كانت رانيا بوجهها القمحى الجميـل وشـعرها البنى اللامـع كأمها ، وعينيها الخضراوين الواسعتين كأبيهـا ، هى شمس حيـاة سارة التى تضىء لها معالم الطريق . وكانت أمهـا بخبرتها فى تربية الأطفـال قد حملت عنها العبء الأكبر فى رعاية رانيا بحيث لم يتبق لسارة معها سوى البهجة واللعب ، ولذلك لم تجد تعارضا على الإطلاق بين مشاغل الأمومة وإكمال دراستها فى كلية الحقوق .

كان ضياء قـد تقـدم لطلب يد سـحر وقوبل بالترحيب الفـورى من الجميع ماعـدا معتز لغيابه فى ألمـانيا وعدم إخباره بالموضوع أصلا ! فقد كانت

المكالمــات التليفونية بينه وبين سارة قليلة ومختصرة للغاية ! ولم تكن سارة حريصة على فتح قلبها تماما له منعــا للمشكلات التى يمكن أن تطــرأ من حيث لا تدرى ! ولذلك أخفت عنه عودتها للالتحاق بالكلية وكذلك خطبة ضياء لسحر حتى لا يشعر أن هناك مؤامرة تحاك ضده ، وهو الذى ظن فى الأيام الأخيرة أن الدنيا كلها تتآمر ضده ، مما رسخ داخله عقدة اضطهاد خبيثة ، تمنت سارة أن يتخلص منهــا فى ألمــانيا وهو بعيد عن منابع الذكريات المؤلمة الممضة ! فربما عاد بنفس جديدة وعقلية مرنة قابلة لاستيعاب المتغيرات التى يأتى بها المستقبل • أما البوتيك فلم تحمل سارة همه لأنه بمجرد كتابة اسم « ميزو » عليه بالأضواء الملونة التى تعشى الأبصــار ، سيأتى على هوى معتز وإن كان عمله فيــه هو شخصياً أمراً مشكوكا فيه للغاية ، لكنها مشكلة قابلة للحل ، إذ أن أى إنسان موثوق بذمته وضـميره يمكنه إدارته ، وما على ميزو سوى تلقى الأرباح !

لم تخف سـعادة سـارة على أسرتها فى غيبـة زوجها ! كان ضياء يتردد عليهم بصفة شبه يوميـة وسرعان ما ينهمكون فى الدراسة ، ســحر وسـارة اللتين كانتا معا بكلية الحقوق • ولذلك كان التشجيع بينهما متبادلا فى حين كان ضياء على استعداد لتفسير

ما غمض عليهما . ولم تشعر سارة بوحشة وسط زملاء جدد لا تعرفهم لأن سحر وفرت عليها هذه المشقة ، إذ سرعان ما اندمجت وسط مجموعة أصدقائها وصديقاتها . وكانت سعادة الأب فائقة وهو يستمع إلى الأحاديث القانونية والقضائية المتبادلة التى حلت محل أحاديث الكرة والمباريات والدورى والكأس برغم ممارسة ضياء للعب ، إلا أن حديث الكرة كان يمر على لسانه مر الكرام ، بل إنه كان يفكر جديا فى الاعتزال إذا ما تمت ترقيته إلى نائب مدير الشئون القانونية فى شركة الاستثمار التى يعمل بها .

أما رانيا فكانت تملأ البيت بضحكات البراءة العذبة وتشيع فى جنباته سعادة غامرة للجميع ، لدرجة أن أم سارة رفضت أن تقيم فى شقتها بالدور العلوى التى أثثها لها أبوها خصيصا لاحتمالات لم تكن لتراها فى أيام الوجد والغرام ، أما الآن فهى تشعر أن هناك قلعة حصينة فى انتظارها إذا ما هبت الأعاصير والأنواء ! وهى أعاصير يمكن أن تهب من جهات عديدة قد تكون من جهة معتز نفسه أو أبيه أو أمه اللذين تسأل عنهما بالتليفون وتزورهما من حين لآخر لتتجرع السم من تعليقاتهما ونظراتهما لدرجة التلميح ذات مرة بأنها السبب فى هروبه إلى

المـانيا ! ولذلك قللت من زياراتها ومكالماتها بقـدر الإمكان حتى تسد الباب الذى يمكن أن تأتى منـــه الريـح استعداداً للأعاصـير التى ستهب من المـانيا بمجرد عودة معتز فى غضون شهور معدودة ٠ وكانت سارة قد أنضجتها التجربة التى انصهرت فى بوتقتها وجعلتها تنظـر إلى المستقبل من زاوية جـديدة ، وعلمتها كيف تضع كل الاحتمالات فى اعتبارها حتى لا تفقد دفة حياتها من يدها مرة أخرى !

* * *

(٧)

عند وصول معتز إلى ميونخ كان يظن أن المكالمات التليفونية والبرقيات والخطابات ستنهال عليه من كل عشاق الكرة فى مصر لكنه أدرك أن الأمر اقتصر على مكالمات سارة التى كان يقوم بها فى معظم الأحيان من طرف واحد ، ومكاتبات رئيس ناديه لنادى بايرن ميونخ بخصوص شيكات التدريب ومتابعة تطوره وتحديد مدته التى قررها الخبراء والمدربون فى حدود تسعة أشهر ! أما فيما عدا هذا فقد وجد نفسه فى غربة قاتلة فى بداية الأمر ، غربة جعلته يحن حنينا قاتلا لسارة وأيامها الجميلة التى تشبث بها تشبث الطفل الجائع بثدى أمه ! كانت ذاكرته ذات قدرة عجيبة على مسح كل وقائع ما بعد الإصابة ، وخاصة أن الاحترام الذى قوبل به من المدربين والمعلمين الألمان قد أعاد إليه أصداء تلك الأيام الجميلة ، إذ قال له أحدهم إنه بهذه المواظبة والجدية والكفاءة يمكن أن يكون من أكفأ المدربين العالميين ، وإنه لو عرض عليهم العمل مدربا فى ألمانيا فسيرحبون به .

ومع الأيام استراح لوجوده بين مواكب النظام والجمال التى تحيط به من كل جانب ، وخاصة مع الصداقة النامية بينه وبين لندا الشقراء الفارعة ، الرشيقة ، ذات الجدائل الفضية التى تقبض عليها بشريط من القطيفة الحمراء حول رأسها ، والعينين الزرقاوين اللتين تشعان بوميض نهر إيزاب الذى يخترق مغانى ميونخ ! كانت قد احترفت التنس وفازت ببطولة مقاطعة بافاريا ، وتستعد لبطولة ألمانيا التى تعتبرها الخطوة الأخيرة قبل خوض البطولات الأربع الكبرى وفى مقدمتها بطولة ويمبلدون ورولان جاروس .

كانت تظن عند رؤيته لأول مرة أنه بلغارى أو يوغسلافى أو تشيكى نظرا لبياض بشرته ، وصفرة شعره ، وخضرة عينيه ، وسعد لهذه الملاحظة قائلا لها وهو يجلس إليها فى كافيتريا النادى :

ـ أنا مصرى .. ولكن من أصل تركى .. الدماء التركية تجرى فى عروقى بنسبة ٧٥٪ .. والباقى من طرف جدى لأبى !

كانت تنصت إليه بحرص نظرا لإنجليزيته المتعسرة فى حين أنها كانت تنطق الإنجليزية كأبنائها

برغم لكنتها الألمانية . تفحص أصابعها البيضاء فلم يجد خاتم زواج وهى تسأله :

ـ من كلامك عن أمجادك الكروية لابد أنك تملك ثروة موللر أو بيكينباور أو رومينيجى ؟!

غمرته أمواج النشوة وهى تقارنه بهؤلاء اللاعبين الدوليين الذين سحروا العالم بألعابهم فى كأس أوروبا وكأس العالم :

ـ فعلا أنا أعد من هؤلاء اللاعبين .. لكننا لم نأخذ بنظام الاحتراف بعد فى مصر .. وإن كان اللاعبون يحصلون على مكافآت ودخول سخية .. بالإضافة إلى الإعلانات التجارية سواء فى التليفزيون أو الماركات المكتوبة على فانلاتهم .. وبعضهم ينتمى إلى أسر أرستقراطية غنية مثلى !

قالها معتز ونبرات العنجهية تنضح على كلماته التى لم تثر إعجاب لندا التى كانت تأخذ الأمور ببساطة باردة لم تكن تريحه ! ومع ذلك ظل على ارتباطه بها ولقاءاته المتكررة معها حتى ظن مع الأيام أنها فى سبيلها إلى الوقوع فى حبه ، وبدأت تزوره فى أحلامه . كما لاحظ أنها لم تسأله أبداً عن

زوجته ، ولم يسألها هو أيضا عن زوجها وخاصة أنها لم تذكره أبداً كما أنها لا تلبس خاتم زواج ! وكان كلما تابعها فى مبارياتها للتنس كان قلبه يطير مع جدائل شعرها الفضية ، وقوامها الفارع الرشيق ، وسيقانها المرمرية المنسابة من تحت الجونلة البيضاء القصيرة ! وبعد إحدى المباريات التى فازت فيها هرع إلى تهنئتها فإذ بها تقدم إليه وجنتيها اللتين قبلهما بنشوة تحت وطأة مزيج عطرها مع عرقها ! فى تلك الليلة حلم بها وهى ممددة عارية إلى جواره على الفراش فى انتظار أن يغرق جسدها بنفس القبلات التى طبعها على وجنتيها من قبل !

تراجعت أطياف سارة إلى الوراء حتى كمنت فى أعماق كهوفه المظلمة لتبزغ شمس لندا التى جرفته فى دوامة أحاسيس لم يمر بها من قبل ، والتى حولته إلى خاتم فى أصبعها ، وهو ما فشلت فيه سارة تماما ! كان عناده يذوب ويتلاشى بمجرد ظهـــور طلعتها البهية !! حتى أصله التركى لم يعد يتباهى به بعـد أن حذرته من ذلك :

ـ لا تكرر حكاية أصلك التركى هـذه !! ففى ألمـانيا حـوالى ثلاثة ملايين تركى يقومون بأحقـر الوظائف التى يأنف منها الألمـان !!

بعد ذلك اقتصر تباهيه على ملامحه الأوروبية التى جعلته واحداً من هؤلاء القوم الفخورين بجنسهم الآرى الأبيض ! ولم يعد لديه اهتمام فى حياته بسوى ممارسة مناهج التدريب ولقاءات لندا التى دعته ذات عصر إلى شقتها الصغيرة التى تطل على قلب ميونخ حيث المبنى الأثرى القديم بمنارته المربعة التى تخرج منها التماثيل المعدنية ذات الألوان البديعة وتدور حول الساعة عندما تدق كل نصف ساعة ! تابع حركة التماثيل من الشرفة وهو يحتسى البيرة وقد جلست لندا إلى جواره ، تحكى له تاريخ الإمبراطور ماكسيمليان الأول الذى سمى الشارع الطويل العريض الممتد من قلب ميونخ باسمه ، والذى يشمخ فيه تمثاله البرونزى الداكن فى الميدان المواجه لميدان الساعة !

كان معتز فى حيرة من أمره ! هل دعته إلى شقتها لاحتساء البيرة والحديث عن تاريخ الأباطرة الألمان ؟! ولذلك التزم جانب الحذر معها وخاصة عندما كان طيف سارة يمر به من حين لآخر فى مثل هذه المواقف الحساسة ! وعندما وجد أن الجلسة ستمتد وهى تدور حول مثل هذه الأحاديث عن أوجه التشابه والاختلاف بين الشعبين المصرى والألمانى ، وخاصة أنه اكتشف أن معلوماتها عن مصر وتاريخها

وحضارتها تفـوق معلوماته بكثير ، نهض مستأذنا وشاكرا لها حسن ضيافتها ، فودعته برقة لم يكن يجد لها معنى محدداً !

وظل على هذه الحال من الحيرة والتردد إلى أن دعته ذات صباح يوم أحـــد مشرق ودافىء إلى التريض فى الحدائق المترامية على ضفتى نهر إيزاب حيث سطعت الشمس على النوافذ الملونة لقصر قديم يطل على قنطرة أثرية ، فانعكست بألوانها الحمراء والخضراء والصفراء وكأن القصر تحول إلى قطعـة من الوهج المشتعل . وسرعان ما خلعت لندا ملابسها التى كشفت عن مايوه أحمر بيكينى بدت فيه كحورية خارجة من قلب قوقعة أسطورية ! ارتمت لتتمدد على بساط العشب الندى وهى تطلب من معتز أن يتخلص من ملابسه أيضا ، فجاذبية الشمس الساطعة الدافئة لا تقـاوم !

راقبها معتز فى نشوة ذاهلة وهو يتذكر الحـلم الذى رقدت فيه إلى جواره وإن كانت عارية تماما ! جلس إلى جوارها بملابسـه كاملة ، فانقلبت على ظهرها وأضافت بعينين مسبلتين فى الضوء الذهبى :

ـ ألاتزال تخاف من البرد ؟! الشمس هنا ليست

مثل شمس مصر .. إنهـــا يمكن أن تختفى بعـد لحظات لتغيب أياما وأسابيع تحت وطأة السحب الداكنة والأمطار العاصفة !!

– إن هذا الإطار الأحمر الجهنمى يبرز مفاتنها أكثر مما لو كانت كما ولدتها أمها !!

قالها معتز لنفسه وهو يتأملها فى شرود استيقظ منه على صوت لندا وهى تتساءل :

– فيم شردت ؟! هل طار قلبك إلى مصر حيث الأسرة والأحباب والأصدقاء ؟! نحن نحسدكم على التماسك الأسرى الذى نفتقده هنا !!

لم يستوعب معتز كلمة واحدة مما قالته ! كان يراقب عاشقين انهمكا فى تبادل القبلات النارية على العشب القريب من عيون القنطرة الحجرية ، لدرجة أن خرير المياه المتدفقة لم يطغ على أصداء قبلاتهما ! لم يدر معتز إلا وهو يميل على لندا ليقبلها فى وجنتها اليسرى ، فأدارت وجهها لتتلقى القبلة الثانية على وجنتها اليمنى ، ثم أغمض عينيـه لينهــال بشفتيه على شفتيها لكنه فوجىء بأصابع يمناها تقف حجر عثرة فى طريق شفتيه ، فظن أنها تتدلل وتتمنع

فحاول أن يطبق عليها لكنها انتفضت جالسة وهى تقول محذرة :

ـ ميزو .. حذار !! نحن أصدقاء ولسنا عشاقا !
أفاق فى جلسته وهو يحاول جمع شتات أفكاره متسائلا :

ـ ألم يكن كل ما بيننا حبا ؟!

ـ ألا تعرف أننى متزوجة ؟!

ـ لم يرد ذكر زوجك على لسانك كما أنك لا تلبسين خاتم زواج !!

ـ لم تكن هناك مناسبة لذكره ! والخاتم ليس شرطا للزواج !

ـ وأين هو طوال هذه المدة ؟!

ـ إنه قبطان فى أعالى البحار تستغرق أية رحلة له عدة شهور !

ـ وما سر ارتباطك بى ؟! لماذا أنا بالذات وأنت فى بلدك حيث عشرات الأصدقاء ؟!

– نحن شعب عملى للغـاية ‥ وجرينا وراء الإنتاج والثروة لم يترك لنـا وقتـا للاستمتاع بدفء الصداقة الذى وجدته عندك ! كما أننى وجدتك مختلفـا عن باقى الشرقيين الذين قابلتهم ‥ كان الجنس عند معظمهم يمثل محور حياتهم ‥ هو البهجة الوحيدة عندهم فى حين أن الحيـاة مليئة بمباهج أخرى ‥ منها الصداقة على سبيل المثال ‥ ولذلك فالمرأة عندهم مجرد أنثى قابلة للالتهام فى أى وقت ! أما أنت فكنت رقيقا ورفيقا بى للغاية ولم تنظر إلى هذه النظرة الشهوانية !

– كيف تدعيننى إلى شقتك فى غياب زوجك ؟!

– وما الحـرج فى هـذا ؟! إن الموقف يعتمد أساسا على ثقـة متبادلة بينى وبين زوجى الذى سيصل بعد ثلاثة أيام ‥ لقضـاء أسبوع معى ‥ ويسرنى أن أقدمك إليه لنستمتع بصحبتك معا ‥ فأنا واثقة أنه سيقدر لك اهتمامك بى فى غيابه !

– ما هذا الكلام الذى تقوله هذه المرأة ؟!

تساءل معتز فى صمت حائر ! شعر بأن شيئا فى داخله قد انطفأ وفقد الرغبة فى استمرار الجلسة ! لكنه كان يراعى شعورها إلى أبعد حد فلم يشأ أن يشعرها بأمواج الإحباط التى تغمر كهوفه بحياة معتمة ! ربتت على خده وهى تقول :

– أرجو أن أكون قد أوضحت قصدى !!

رسم على وجهه ابتسامة باهتة مدعيا التجاوب معها لكنه تجنب النظر إليها وتشاغل بمشاهدة انعكاسات نوافذ القصر ومدرجات العشب الأخضر الندى التى تواكب ضفتى النهر بشلالاته الصغيرة وفوران أمواجها فى دوائر من الفقاقيع والرغاوى ! إنها تريد أن يقوم لها بدور المسلى أو المضحك حتى يعود زوجها ، ولو كان ألمانيا لمنحته كل شىء بلا تردد أو مقابل ! ويكفى أنها قالت له ذات مرة أن الأتراك يؤدون أحقر الوظائف التى يأنف منها الألمان ! إنها العنجهية الألمانية التى تتظاهر بالتواضع والرقة فى حين أنها تخفى داخلها أبشع أنواع التفرقة العنصرية !

فكر فى الكيفية التى ينهى بها الجلسة العقيمة ! فهذه المرأة التى مارست الجنس مع شباب لا تذكر

عددهم قبل الزواج كما صارحته فى أحاديثها ، تأبى عليه مجرد قبلة على شفتيها وكأنها تحولت فجـأة فأصبحت فى لحظة ربة الصون والعفاف !! كل الطرق تؤدى إليها إلا طريقه هو !! فلتذهب إلى الجحيم هى وكل مفاهيمها الأوروبية !!

كانت تتأمل صمته وشروده فى دهشة ! لم تشـأ أن تواصل الحوار معه وانتهزت أول لسعة برد سرت مع توارى الشمس خلف السحاب الداكن الزاحف فوق قباب القصر ومناراته ، ونهضت لترتدى ملابسها ، فإذا به ينهض واقفا مع هزيم الرعد الذى تردد صداه فى الأفق وكأنه استجاب لرغبته التى اشتعلت فجـأة داخله ، وسرعان ما أطفأتها الأمطار التى انهمرت بغزارة ، وهرع العشـاق الناعسون على العشب إلى ارتداء ملابسهم فى عجلة وانطلقوا إلى سياراتهم !

انطلقت سارة بسيارتها الفارهة وإلى جوارها معتز الذى ثبت عينيه على ماسحات المطـر بإيقاعهـا الرتيب على الزجاج الأمامى ! اجتاحه حنين جارف لسارة وقرر أن يتصل بها بمجـرد بلوغه البيت . وبالفعل اتصل بها ، لكن الشىء المحـير أن حنينه انطفأ بمجرد سماع صوتها على الطرف الآخـر إذ هاجمته كل الذكريات المريرة قبل سفره إلى الخارج ،

وكان متحفظاً وجافاً معها برغم ارتباطه الجنونى بها ، فهو لا يستطيع تصور حياته – مجرد تصور – بدونهـا !

ولم ينم ليلته فظل يتقلب فى فراشه وصور الماضى تتداخل مع الحاضر ، وخاصة صورة الأنثى القابلة للالتهام فى أى وقت ! هل من الممكن التهام الأنثى دون رغبة منها ؟! وإذا كانت رافضة للالتهام فلماذا تتعـرى وتتدلل أو تتمنع حتى تثير شـهية الذكر لالتهامهـا ؟! وهـل الشرقيون وحـدهم هم الذكور الوحوش الذين لا يسمعون سوى عواء الجنس فى حين يبدو الغربيون فى ثيـاب الملائكة أو الحمـلان على أقل تقدير ؟! وإذا كان الرجال الغربيون بهذا التحضر والسمو فبماذا تسمى لندا ممارستها للجنس مع شباب لا تذكر عددهم ؟!

ندم أشد الندم على أنه لم يرد عليها ولم يفحمها ، وتركها تحاضره فى مفاهيم الحضارة الغربية ٠ وعندما داعب النعاس جفونه ارتسمت ابتسامة حول عينيه وشفتيه ، عندما تذكر أستاذه فى كلية الطب البيطرى وهو يحاضر الطلبة فى أساليب تنمية الثروة الحيوانية ليس فقط برفـع مستواها الصحى وتحصينها ضـد الأمراض ، بل أيضا بتنظيم عمليات ذبحها ، ومن

هنا نشأت ضرورة تحديد موسم ذبح الإناث حتى يمكن تعزيز القدرة المتجددة على الإنجاب والتوالد ، وضحك الأستاذ يومها قائلا : إن الانفجار السكانى فى مصر كان نتيجة لعدم تحـــديد أى موسم لذبح الإناث ! وكان شائعا عن زوجة هذا الأستاذ جبروتها وطغيانها وسطوتها على زوجها !!

* * *

(٨)

كانت سارة تحمل رانيــا وإلى جوارها ســحر وضياء عند مدخل صالة الوصول فى مطــار القاهرة الدولى ، وهم يتصفحون وجـــوه ركاب الطــائرة الألمـــانية التى هبطت منذ حوالى نصف ساعة ٠ قال ضياء لسارة :

ـ أخشى أن يغضب معتز إذا لم يجد أحداً من النادى فى انتظاره !

أجابت سارة بنبرات توحى بثقتها بنفسها :

ـ ألست انت أحـد نجـوم خط الدفاع فى فريق النــادى ؟!

ـ يبدو أننا أخطأنا عندما لم نخبره بالخطبة !!

كانت سارة على وشك أن تعلق لكن سحر صاحت مهـــللة :

ـ ها هو معتز قادم !

بدا معتز وهـو يدفع أمامـه عربته المحمـــلة بالحقائب الكبيرة والصغيرة حتى لمحهم فلوح بذراعه مبتسما فى سعادة غامرة حتى خـــرج من الحاجز الحديدى ليحتضنهم ويقبلهم واحدا واحدا ثم يعود لاحتضان سارة وتقبيل رانيا التى يبدو انها فزعت لهجومه عليها فصاحت باكية ، لكن بكاءها لم يمنعه من احتضان سارة التى شعرت بدفء جسدها يسرى فى سيقانه وبطنه وصدره ، فاستمر الاشتباك ولم يشأ أن يفضه إلا بعد أن لمح نظرات سحر وضياء . بدت سارة فى نظره لأول مرة امرأة ناضجة تتفجر بالحيوية والدفء من شفتيها الغليظتين المتكورتين ، وعينيها العسـليتين الواســعتين ، وبشرتهـا القمحيـة التى لا تقارن ببشرة لندا البيضاء الشاحبة الباهتة ! تفاحة ناضجة ، لامعة ، جاهزة للقضم والالتهام . أما رانيا فقد بدت عيناها الخضراوان صورة طبق الأصل من أبيها وإن كانت لاتزال نافرة منه !

تبادلوا كلمات الشوق والاطمئنان على الأحباب والأصدقاء ، وقد تولى ضياء دفع عربة الحقائب حتى بلغ بهـــا مؤخـرة سيارته التى ابتلعت الحقيبتين الكبيرتين فى حين وضــع الحقيبتين الصغيرتين على المقعد الخلفى ! وسرعان ما انطلقت السيارة بقيادة ضياء وقد جلست سحر إلى جواره فى حين احتلت

سارة ومعتز المقعد الخلفى ، وقد استرخت رانيا على ساقى أمها وهى تتأمل هذا الرجل الذى احتضنها وقبلها دون أن تتذكر أنها رأته من قبل !

دارت الأحاديث حول التدريب والكرة وألمانيـا وأخبار النادى وشوق أعضائه للقاء معتز الذى علق شـارداً :

ـ لو كانوا مشتاقين حقا لجاءوا لاستقبالى !!

لكن ضياء لم يعدم الإجابة التلقائية :

ـ لم أؤكد لهم ميعاد وصول الطائرة .. فلا نريد جمائل من أحد بدون داع !

ســاد صمت قطعته سحر وأصابعها تتســلل بين شعرها القصير :

ـ نسيت أن أقول لك إن ضياء قد خطبنى !

ـ وهل هذا موضوع يمكن أن ينسى ؟! على كل حال .. مبروك !

أسقط فى يدها لكن الله فتح على ســارة بإجابة سعيدة :

ـ كنت على وشك أن أخبرك بالموضوع فى آخر مكالمة بيننا .. لكن الاتصال انقطع كما تذكر .. فقلت لنفسى : لا بأس .. ستصل بنفسك إلينا بالسلامة وستعرف كل شىء !

أضاف ضياء نغمة عزفها بمهارة :

ـ لن أنسى يا ميزو فضلك علىّ طول العمر .. فقد كنت السبب فى معرفتى بهذه العائلة الكريمة .. وفى سعادتى الغامرة منذ أن رأيت حبيبة قلبى سحر لأول مرة !

ومضت نظرات سحر فى سواد عينيها ولم تملك سوى أن تربت على يد ضياء فوق مقود السيارة فى وجد جارف ! ثم بحثت عن كلمات تملأ بها فراغ الصمت وهى تنظر إلى سارة ومعتز ، لكنها وجدت أصابعهما وقد اشتبكت فى اتصال صامت حميم ، فتركت الصمت يقول ما عجزت الألسنة عنه ، والسيارة تنهب الطريق صوب البيت وقد نعست رانيا فى حضن أمها !

وفى البيت كان حديث العشاء ذا شجون ! تجمعت الأسرتان حول مائدة أبى معتز الذى لم يتخل عن

عنجهيته ، لكن حكايات معتز عن ألمانيـــا جعلت الحساسيات التقليدية تتوارى تاركة مكانها لمغامراته التى كانت معظمها من صــنع خياله ، وخاصة فيما يتصل بالفاتنات الألمــانيات اللاتى نصــبن شباكهن حوله للإيقاع به ، لكنه أثبت لهن أن اللعاب المصرى لا يمكن أن يسيل بالبساطة التى تصورنها ! فالجمال المصرى الدافىء المتدفق بالحيــوية الحميمة يضرب الجمال الألمــانى الباهت الشاحب على عينه !!

انفض السامر ليختلى معتز بسارة فى غرفة نومهما بعد هذه الغيبة الطويلة . لاحظت سارة فى عينيه وميض الشبق الذى أوشــك أن يسيل بلعابه عليها . كانت الحياة قد عركتها فادركت أن زوجهــا طفــل مثل رانيا تماما ! ويمكنها بوسائل التدليل والإغراء أن تحيـــله إلى عجينة لينـــة بين أصابعها تشكلها كما تشاء ، ذلك أن أساليب المواجهة والمصارحة من شأنها أن تزيد من عناده الذى يجد فيـــه الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذاته ! واستغلال فرصة شوقه الشبق إليها من باب الضرب على الحديد وهو ســاخن ! لذلك تفننت فى تذويب قدرته على الهجوم والصــد والعناد تحت شمس جسدها الفـــائر وفطنة عقلهــا اليقــظ !

ارتدت نفس قميص النوم الأبيض القصير الشفاف الذى ارتدته ليلة دخلتها . وتحته بزغ الإطاران الحمراوان اللذان التف أعلاهما حول نهديها النافرين المتمردين ، فى حين قبض أسفلهما على ردفيها المستديرين فى تناغم قطعة موسيقية حالمة ! وغمرت أسفل نهديها وتحت إبطيها بالعطر الباريسى الذى كان قد أهداها إياه أيام الحب المشتعل ، وقد انهمرت جدائل شعرها البنى اللامع الناعم على كتفيها وظهرها كشلالات فى نهر من أنهار الجن ! واشرأب أنفها الدقيق إلى أعلى وقد جلست على حافة الفراش فى انتظار عودة معتز من الحمام !

عاد فى بيجامته البيضاء الحريرية اللامعة ليجدها فى جلستها هذه ! لمح الإطارين الحمراوين فتذكر لندا ولعنها فى سره ! ها هى زوجته وحبيبة عمره تجلس آية متجسدة للجمال والإغراء فى انتظار التهامها بعد طول جوع وجفاف ! قالت له :

– لدى أولا أخبار كثيرة لن يهدأ لى بال قبل

أن افضى بها ! فالزوجة التى تخفى عن زوجها أى شىء غير جديرة بحبه !!

توسل إليها فى ضراعة متسائلة :

ـ هل يعقل أن أقضى تسعة أشهر فى كل هذا الجفاف والتحاريق ·· وعندما أعود إليـك نقضى الوقت فى الثرثرة ! أمامنا العمر بطوله لنثرثر كما نشـاء !!

ـ تسـع دقائق لن تطيل من أمـد الأشـهر التسعة !!

ضم ذراعيه على صدره وهو يتأمل منحنياتها ودهاليزها وهضابها وبراكينها المتفجرة تحت الغلالة التى انحسرت عن أعلى فخذيها قائلا :

ـ تفضلى ·· ولكن فى إيجاز ·· أرجوك !

ـ كما لا أريدك أن تسيىء فهم ما سأقوله ·· فانا أطيعك وأحبك لدرجة العبادة !

ضـحك فى شقاوة الأطفال عندما ينفد صبرهم

وهم عاجزون عن الحصول على اللعبة التى تتمنـــع عليهـــم :

– الباقى من الزمن ست دقائق !

– أنت يا ميزو مصـــدر كل بركة وخـــير فى حياتى ٠٠ حتى مجيئك اليوم ارتبط بظهور نتيجتى هذا الصباح ونجاحى بتقدير جيد جدا ٠٠ وانتقالى إلى السنة الثالثة !

لم ينطفىء وميض الرغبة فى عينيه برغم سؤاله فى ثوب عتاب :

– أهذا هو ما اتفقنا عليه ؟!

– غيابك يا ميزو ترك فراغا خطيرا فى حياتى ٠٠ وخاصة أن ماما تولت رعاية رانيا بالكامل ٠٠ ولكى أهرب من قلقى عليك لم أجد أفضل من الدراســة كى أشغل نفسى بها !

– وها قد عدت ولن تعانى من الفراغ مـــرة أخـــرى ٠

ندمت سارة على حججها التى رد عليها ومع ذلك واصلت الزحف :

ـ لك علىّ أن أهجر الدراسة إلى الأبد إذا شعرت يوما أننى مقصرة فى حقك وحق رانيا ! أرجوك لا تأخذ دراستى على أنها تحد أو عصيان لك ! فأنا أعشق القانون عشقك أنت للكرة !!

ـ وهل ستعملين بالمؤهل ؟!

سعدت جدا بسماعها كلمة « المؤهل » وهى تخرج من فمه دون أن يجبره أحد على التفوه بها . قالت :

ـ أكثر الله من خيرك .. لست فى حاجة إلى أية وظيفة !!

ـ بقى شىء واحد !!

ـ وما هو ؟!

ـ اتصل بى رئيس النادى وقال إن مجلس الإدارة قرر شراء بوتيك باسمك بالمكافأة التى دفعها

النادى لك ٠٠ حتى لا تخـرج من مولد البوتيكات التى بناها النـــادى فى مكان أســواره بلا حمص ! والمـــال قيمته آخذة فى النقصان مع الزمن أما العقار فقيمته فى ارتفاع دائم !!

ابتعد قليلا ليلتقط أنفاسه ويلم شتات أفكاره :

ـ وهل تعتقدين أن كابتن ميزو على آخر الزمن يمكن أن يصبح بائعا فى محل ؟!

كانت سعادتها غامرة باجتياحها كل الموانع التى بدت فى المـــاضى مستحيلة ، قالت وقلبهـــا يرقص طربـــا :

ـ ومن قال هـذا الكلام لا سمح الله ! سيحمل البوتيك اسم ميزو الساطع بالأضواء الملونة ٠٠ وفى استطاعة الكابتن ميزو أن يوظف فيه من يشاء من عباد الله !!

ـ إذا كان الأمر هكذا فليس عندى أى مانع !

* * *

(٩)

سرعان ما تلاشت نشوة العودة وشوق اللقاء ، وعاد معتز إلى خصاله القديمة : العناد والصلابة والعنجهية واعتبار الحب نوعا من الملكية من طرف واحد ! وتلاشت بالتالى كل آمال سارة فى تصحيح المسار ، ولم يتبق لها سوى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ! فالتدريب الذى صرف عليه النادى دم قلبه ، لم يشبع جنون الشهرة والأضواء عند معتز الذى لم يحتمل أن يتوارى فى الظل فى حين تسلط الأضـــواء على لاعبين ناشئين كانوا فى الماضى يتمنون مجرد توقيعه الكريم على أوتوجرافاتهم !! صحيح أن اسمه كان يذكر من حين لآخر ، وخاصـة فى أثناء المباريات الدولية إلا أن بعض النقاد الرياضيين الذين هاجموه واحتك بهم فى مرحلة تدهوره كلاعب ، لم ينســـوا الخصـومة بينهم وبينه ، وعاودوا هجومهم عليـه كمدرب للفـريق القومى مترحمين على أيام المدرب الأجنبى الذى تحققت على يديه انتصارات عظيمة منها أمجـاد معتز نفسه !..

ولم يكن كل هجوم النقاد مغرضا ! فقد ضاعت كفاءة معتز نتيجة لأسلوبه فى التعامل مع اللاعبين ! كان يعاملهم كما لو كانوا من صـغار التلاميذ الذين لا يستوعبون الدروس إلا إذا نهرهم الأستاذ ووبخهم ، برغم أن بعضهم كانوا زملاء له ، وفى مقدمتهم ضياء الذى لاحظ أنه يؤثره بقدر كبير من الانتقاد والتأنيب وخاصة فى مجال الشكليات ! فإذا تأخر عن ميعـاد التدريب دقائق معدودة يلقنه درسا فى الحفاظ على المواعيد أمام زملائه ، مؤكدا أن تقديس المواعيـد وإتقان الأداء وراء كل مظاهر العبقرية الألمـانية ! وضياء بالذات كان واعيا لكل الدوافع الخفية المحركة لمعـتز ، ولكل عقد النقص والنرجسية وجنون العظمة التى تجعله يتوقع دائمـا من الآخرين أن يقدموا فروض الطاعة ، ويتغنوا بأمجاده وعبقريته الفذة ! ومن لا يغذى هذه العقد عنده فلابد أن تحل لعنته عليـه ! مما جعله يفقد أصدقاءه وزملاءه الواحـد بعـد الآخر كما تنفرط حبات العقد ! وبالفعل قرر ضياء أن يعتزل ، ليس فقط بسبب معتز ولكن لأسباب موضوعية أخرى كانت فى اعتباره منذ مـدة غـير قصيرة ! كان يفكر فى الاعتزال وهو فى قمة لياقته ! والآن بعد أن تجاوز الثلاثين بعامين ، واحتل منصب نائب مدير الشئون القانونية فى الشركة التى يعمـل بها ، وتزوج من سحر التى على وشك التخرج فى

كلية الحقوق ، أصبحت مسئولياته ومشغولياته تملأ عليه حياته ؛ وهو ليس من النوع الذى يحب الحرب فى أكثر من جبهة فى وقت واحد . ولذلك ادخر إعلان قرار اعتزاله كرد أخير على كل محاولات معتز لانتقاده وتأنيبه ! ولم يكن يدرك أو يتصور أن هذا القرار الذى لابد أن يتخذه كل لاعب إن عاجلا أو آجلا سيكون بمثابة صفعة مدوية لمعتز الذى يبدو أنه كان يستمد مقومات وجوده من إذلال الآخرين ! بهت ولم يصدقه فى بادىء الأمر ، لكن ضياء قال جملة عادية فى منتهى البراءة ولم يكن يدرى أنها ستنكأ كل جروح معتز القديمة ! أصر معتز على معرفة السبب فى اعتزاله فما كان من ضياء سوى أن قال له بمنتهى البساطة :

ـ أريد أن أترك الكرة قبل أن تتركنى وتدير لى ظهرها !!

وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير ! هاج معتز وماج طالبا منه تحديد من قصده بهذه الكلمات لكن ضياء قال له بمنتهى البساطة والهدوء :

ـ لم أتكلم إلا عن نفسى !! أما إساءة فهم مقصدى فليس مشكلتى وإنما مشكلة الذى لم يفهمنى !!

وأدار ظهره له وغادر الملعب بنفس البســاطة والهدوء ، لكن معتزاً ظل يفور ويمور واحتد مـع بعض اللاعبين حتى اضطر إلى إلغاء التمرين فى ذلك اليـوم !

لكن المأساة لم تتوقف عند هذا الحد ! فقد لجأ معتز إلى وضع اللاعبين الذين لا يجيدون النفــاق والتملق ومسح الجوخ فى الفريق الاحتياطى !! وعندما لم تعد الكفاءة فى الأداء ، واللياقة البدنية والنفسية من المعايير التى يتم بها تكوين الفريق توالت الهزائم المنكرة مما صعد من حملة النقاد الرياضيين ضد معتز الذى أصر على البقاء فى دائرة ذاته والسباحة ضـد التيار ! وحاول أن يبرر الهزائم التى توالت فى عهده بتصريحات تحولت إلى مادة خصبة لسخرية وتهكم النقاد ورسامى الكاريكاتير !

حاولت سارة أن تبصره بالصخور الوعرة التى يسير عليها دون أن يدرى ، فما كان منه سـوى أن نهـرها :

– كما أننى لا أتدخل فى معرفتك بالقانون .. فليس لك أى حق فى الإفتاء فى شئون الكرة ! كل هذا

الهجوم ضدى نتيجة للغيرة والحسد والحقد الذى يأكل قلوب الأقزام والنكرات !!

وكان من الطبيعى أن يصـــل معتز إلى نهاية المطاف ! فسرعان ما اجتمع مجلس إدارة النـادى لبحث أسباب انهيار مستوى فريق كرة القدم ، وبرغم استماتة معتز فى الدفاع عن نفسه وتحــول عقدة النرجسية عنـده إلى عقدة الاضطهاد ، وبكائه فى نهاية دفاعه ، فإن المجلس قرر تجديد العقـد مع المدرب الأجنبى ، ومنح معتز إجـازة مفتوحة كى يدرس فيها بتأن وروية أسباب هذا الانهيار التى تبدو أنها مرتبطة به أكثر من ارتباطها بأعضـــاء الفريق ! وخاصة أنه فى المباراة الأخـيرة أوشـك مشجعوا النـادى على الفتـــك بالفـريق ومردبه بعد الأداء السيىء الذى جعل مرماه يستقبل خمسة أهداف كاملة !!

وكان شيحة مستأجر بوفيـــه النـادى متربصا التربص النهائى لفريسته كى يلتهمها بكل ما تملكه ! كان هذا التربص قد بدأ باشتغال خطيبته إيناس فى بوتيك ميزو وسيطرتها عليـه سيطرة تامة برغم معارضة سارة المستمية لدرجة أنها عرضت أن تشرف بنفسها على البوتيك وخاصة أنها تخرجت فى كليـة

الحقـوق وأصبح لديها الوقت الكافى لرعاية البوتيك الذى يشكل جزءاً مهماً من دخلهما · لكن عناد معتز الطفولى وعنجهيته الفارغة جعلته يتساءل من طرف أنفه فى استنكار وذهول :

– زوجة كابتن مصر ونجم النجوم معتز تعمل بائعة فى محل ؟!

– هناك سيدات أرستقراطيات الآن يقمن بالبيع فى محلاتهن !

– لابد أنهن من محدثى النعمة ·· أما بنات الأصول فيفخرن بأنهن سيدات صالون فقط !

لم تحاول سارة أن تواصل الجدل العقيم معه ، وخاصة أن أباه اعتاد إطلاق صفة محدثى النعمة على أسرتها ·· فالسر لا يظل سرا بين جـــيران الحى الواحد ! تأكدت أن الطوفان قادم لا محالة ، وخاصة عندما لاحظت اصفرار وجه معتز وشفتيه المرتعشتين ونبراته المطوطة ! لم تعد تخشى انفجاراته المدوية التى تعددت أكثر من مرة فى اليوم الواحد ، فقررت أن تواجهه بما لاحظته · هاج وماج ومع ذلك أصرت على عرضه على طبيب ! وكانت المرة الأولى فى حياته التى حاول فيهـا أن يتهجم عليها وينعتها بصفات

لا تخرج إلا من أفواه السوقة وهو الذى يتفاخر دائما بأنه ابن الأكابر ! لم تحــاول أن ترد بل تجنبته ومــع ذلك ذهبت إلى طبيب العــائلة لتستشيره فى الأعراض التى لاحظتها على زوجها ، فكانت القنبلة التى القاها فى وجهها ! أخبرها بأنه يرجح أنه قــد أصــبح مدمنا للأقراص المخــدرة لكنه لا يستطيع أن يقطع برأى إلا بعد الكشف عليه . فقصت عليه ما فلعه عنــدما أصرت على اصطحابه إلى الطبيب ، لكن الطبيب هز رأسه آسفا وقال إنه فى مثل هذه الحالات لابد أن تكون الرغبة فى العلاج نابعة من المريض دون قسر أو جبر ، وأن يتم إيداعه فى إحدى المصحات قسرا إذا ما تفاقمت حالته !

طار فكرها إلى شيحة الذى اعتاد أن يسهر معه فى بيته فى الأيام الأخــيرة لمشاهدة أفــلام مبارياته القديمة وتصفح الجرائد والمجلات القديمة التى سجلت أمجاده الغابرة ، وشيحة يصيح من وقت لآخر :

ـ يا وعدى .. يا عينى يا كابتن مصر .. الكرة من بعدك لعب عيال !!

طلبت سارة من معتز أن يقطع رجله من البيت لكنه نهرها مستنكرا :

ـ أنا سيد البيت ٠٠ وأنا الذى أحدد من يدخله ومن لا يدخله !!

وعندما خيرته بين وجودها فى البيت وتردد شيحة عليه ، هددها بأنه على استعداد لقبول أى تحـد حتى النهاية ! أسقط فى يدها ولم تجد من تلجأ إليه سوى ضياء الذى أكد لها أن الأمر يشغله كما يشغلها تماما ، وأنه على اتصال بأصدقائه من رجال المباحث الذين لم يغفلوا عن شيحة وإن كانوا لايزالون فى حاجة إلى خطة محكمة لضبطه متلبساً ، فهو يبدو كالثعلب المراوغ الذى احتاط لكل شىء ! لكن ضياء أضـاف قائلا لها :

ـ لكن المشكلة ليست فى شيحة ! إنها فى معتز الذى لو كان الإدمان قد تمكن منه بالفعل٠٠ فسيحصل على هذه الأقراص أو غيرها من آخرين إذا ما تم القبض على شيحة ! لابـد من مواجهتـه وفضـحه وتعريته أمام الجميع حتى يفيق لنفسه !

ـ أنـا أدرى بعنـاده وعنجهيته !! إنـه على استعداد لهدم المعبد على رأسه وعلى الآخرين !! لا أدرى ماذا أفعل !!

ـ طبعا كان معتز حالة مثالية فى نظر شيحة ٠٠ محبط وضائع وثرى وفى أشد الحاجة لمن يخرجه من دوامة الضياع هـذه حتى لو بالوهم ٠٠ والمخدرات جنة الضائعين والمتشبثين بذيول المـاضى الذى ذهب ولن يعود !

ـ إن الفزع الأكبر الذى يتملكنى الآن هو أنـه يعتبرنى جزءاً لا يتجزأ من أمجاده الماضية ٠٠ فقد تحول حبه لى إلى نوع من الملكية المقيتة ٠٠ لدرجة أنه قال لى فى إحـــدى مرات الشجار التى تكررت بيننـا :

ـ لو كنت تظنين أننى سأطلقك يومـا ما ٠٠ فنجوم السماء أقرب إليك من هذا الحلم !! فلا يعقل أن تشاركينى حياة الانتصارات والأمجاد والأضـواء ثم تهجرينى بعد انفضاض المولد !!

ـ أنا شخصيا لا أرى حلا قريبا فى الأفق ٠٠ وقد اعتدت فى مثل هـذه الحـالآت أن أمنح الزمن فرصة لعله يكشف لنا عن طاقة أمل لم تكن مفتوحة !! وبدلا من نطح الصخرة ، علينا أن ندور من حولها لعلها تخفى أفقاً جديداً خلف جانب من جوانبها !!

كانت سارة تعشق حكمته المبكرة وترتاح لأفكاره وكلماته ، فهـو حسنة من حسنات معتز النادرة ٠

ســـألته :

ـ والعمل ؟!

ـ كما قلت لك ٠٠ لابد من العمـل !! لابد أن تشغلى نفسك حتى لا يجرك معتز معه إلى القاع !! فأنت لم تحصلى على ليسانس الحقوق بتقــــدير جيد جدا كى تمارسى هذه الحياة العقيمة !!

ـ فعلا ٠٠ لم أعد أراه إلا نادراً !

ـ طبعا ٠٠ طول النهار فى النادى ٠٠ وليلا مع أصدقاء السوء بقيادة شيحة !!

ـ ليته يعود إلى النادى الذى لم يحتمل التردد عليه تجنبا لنظرات الشفقة أو الشماتة التى تخترق قلبه كالسهام المشتعلة !! لقد أصبح يقضى معظم نهاره الآن فى البوتيـك بصحبة إيناس ٠٠ حتى يستقبل المعجبات والمعجبين الذين يتسكعون على الفاترينات !

علق ضياء فى سخرية مريرة :

ـ وهل يليق بابن الأكابر أن يعمـــل بائعا فى محـل ؟!

ـ إنه يحلل لنفسه كل ما يحرمه على الآخرين !

ـ هذه هى طبيعة النرجسى ٠٠ المهم أن الإدارة القانونية فى شركتنا فى سبيلها إلى التوسيع ٠٠ ونحن فى حاجة إلى اثنين من المحامين الجدد :

ـ ولمــاذا لا تنقل سحر من شركتها حتى تكون معك جنبا إلى جنب ؟!

ـ أنا دائما أقطع الطريق على كل الألسنة ٠٠ فلا أحب أن أسمع من يقــول إننى حولت الإدارة القانونية إلى عزبــة لأسرتنا ٠٠ ولذلك سعيت إلى تعيينها عمداً فى شركة أخرى !

ـ لكننى أعد أيضا من أسرتك !

ـ وجودك معى لن يثير أية حساسية على أساس أن زوجتى نفسها تعمل فى شركة أخرى !

ـ وماذا عن معتز ؟! كانت أول كلمة نطق بها عند نجاحى فى الليسانس أننى وعدته بعدم العمـل بعد التخـرج !!

ـ وهل تعتقدين أن التزامك بهذا الوعد لايزال ساريا ومعتز يتدهور بهذا الشكل ؟! كان وعدك له وهو مدرب يبدأ حياة جديدة حافلة بالإنجازات ٠٠ أما الآن وقد ضاع كل شىء وأصبح يقضى نهـــاره فى البوتيك وليله بين أصدقاء السوء ٠٠ فهل يمكن أن يظل الالتزام ســاريا ؟! هل المســـألة هى مجـرد سجنك بين أربعة جدران بلا أى هدف فى حين أنــه هو نفسه لا يكاد يراك ؟!

ـ إنه يتحجج برانيا وبالتفرغ لرعايتها !

ـ كلها حجج واهية وفارغة ٠٠ وهل رانيـــا مسئوليتك أنت وحـدك ؟! وليست مسئوليته هـــو أيضا ٠٠ وهو الذى لا يحمل الآن أية مسئولية على الإطـــلاق ؟!

ـ أصبحت ماما مرتبطة برانيا بجنون ٠٠ لدرجة أن البنت تقضى أياما متصلة معها دون أن تفتقدنا على الإطلاق ؟!

ـ أنا نفسى لاحظت أن رانيا لا تشـعر بأى انتماء لأبيهـا !

ـ ومن أين يأتى الانتمـــاء وهى لا تـراه إلا نـادراً ؟!

ـ عملك هو طوق النجاة الوحيد الآن .. فإذا عزمت فتوكلى على الله وأنا تحت أمرك !

ـ على رأيك .. إن أى التزام نحو معتز لايعنى سوى السقوط معه فى الهاوية التى أتمنى أن ينقذه الله منها حتى لو فى آخر لحظة .. إنه على كل شىء قـدير !

ـ كلنـا نتمنى هـذا .. فمعتز صديق العمـر ونرجو له الخروج سالما من هذه الدوامة العصيبة التى استغرقته !! هيه .. هل أعتبر كلامك هـذا موافقة على العمل معى ؟!

ـ وإن كان هذا يعنى معركة حامية الوطيس مع معتز !! معركة لا يعلم نهايتها سوى الله !

ـ لم يعد هناك ما تخافين عليه !! إن اليـأس

هو أعلى درجات الجرأة والإقدام !! ومن حقك أن تمسكى بدفة حياتك مادام القبطـــان قـد هجـر سفينتك وتركها نهبا للأعاصير والأمواج المتلاطمة !

علقت على كلماته ببعض التردد :

– وهل أخـــبره الآن أم بعد انتهاء إجراءات التعـيين ؟!

– أمثال معتز لا تصلح معهم سوى سياسة الأمر الواقع !! وقد قمت بتطبيقها عليه من قبل ونجحت بدون خسائر ·· أنسيت ؟!

ابتسمت سارة وهى تتذكر يوم عودته من ألمانيا ، وتتحسر على النكســـات المتتالية التى أصابته دون أن يستوعب الدروس المستفادة منها ، وكأن إحساسه بحركة الزمن قد توقف تماما وفاته موكبه · قالت :

– لا أنسى تلك الكلمة التى قالها مؤرخ عسكرى إنجليزى : الأغبياء وحدهم هم الذين يستفيدون من الدروس التى يمرون بهـــا ·· أما أنا فأستفيد من

الدروس التى يمر بها الآخرون ٠٠ ومأساة معتز أنه لا يستفيد حتى من الدروس والمحن التى مر ويمر بهـــا !!

ـ أتذكرين يوم ذهب إليك فى الكلية على سبيل التجسس عليك ورصـد حركاتك ؟! وعندما لمحـك تتبادلين الحديث مع أحد زملائك وتضحكين على خفة دمـه ٠٠ تدخل بينكما واحتك به فى منتهى الوقاحة وكان على وشك أن يضربه علقـــة ساخنة ٠٠ وكان الأمر على وشك أن يصل إلى الحرس الجامعى ٠٠ لولا تدخل الزملاء والزميلات ونجاحهم فى تهدئة الأمـور ؟!

ـ أرجـوك ٠٠ لا تذكرنى بتلك الفضيحة ٠٠ الحمـد لله أنهـا وقعت فى آخـر شهرين فى سـنة الليسانس ٠٠ واضطررت إلى الغياب أسبوعين كاملين حتى أتفادى نظرات الزملاء وتساؤلاتهم أطول مدة ممكنة ٠٠ وعندما عدت أخبرته بأننى أصبحت مثل الجرب الذى يتجنبه زملائى ٠٠ هذا غير التعليقات الساخرة التى كانت أذنى تلتقطها بطريقة عابرة من بعض الزميلات ٠٠ كنت أظن أنه سيندم أو سيخجل من فعلته تلك ٠٠ لكنـــه لذهولى وجدته يضـحك ويصفق كالأطفال فى نشوة وهو يؤكد لى أنه سيقطع

دابر كل من يحـــــاول الاقتراب منى والاستظراف معى ٠٠ وأشار على سبيل التهديد إلى مطواة كان قد اشتراها حديثا ويضعها إلى جوار التليفزيون أو على الكومودينو بالقرب منه !!

– لم أكن أعرف أن حالته قد ساءت إلى هـذا الحـد ؟! هل تعتقدين أنه يمكن أن ينفذ تهديده ؟!

– إنه أجبن من ذلك بكثير ! فهو يخاف فى قرارة نفسه منى !! وسأثبت له ذلك عمليا !! وأظن أنه يعانى من حالة النكوص لمرحلة الطفولة !! لا أجد اختلافا كبيرا بينه وبين رانيا فى الأفكار والتصرفات !

– هل يمكن أن يكرر فعلته مع زميل الكلية ؟!

– إذا كنت خائفا أن يكررها فى شركتك مع أحد الزملاء ٠٠ فأنا لست على استعداد أن أتسبب لك فى متاعب أنت فى غنى عنها !!

استدرك ضياء الموقف حتى يمحو أى جرح يكون قد أصابها به :

– لا تسيئى فهمى ٠٠ أرجوك ٠٠ فالفكرة فكرتى

أصلا ٠٠ لكننى أناقش كل الفروض والاحتمالات حتى نسد الأبواب التى يمكن أن تأتى منها الريح ! فالغيرة القاتلة نتيجة طبيعية لاهتزاز الثقة فى النفس والفشل والنرجسية وحب التملك !

ـ كما قلت أنت ٠٠ لم يعد لدى ما أخاف عليه ولا ما آمل فيه ! المهم ألا أتسبب أنا فى أية متاعب للآخرين !

ـ أنا واثق من حكمتك وحرصك ٠٠ وعلينا جميعا أن نخوض المعركة دون أن نتلفت إلى الوراء ٠٠ وقد علمتنى الكرة أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع ٠٠ ونحن لسنا فى انتظار ما يطرأ على عقل معتز من شطحات مريضة !!

ـ ولسنا تحت رحمته !!

قالتها سارة وقد ومضت عيناها ببريق الإصرار والتحدى !

* * *

(١٠)

– لم أكن أعرف أنك تغار عليها بهذا الشكل ؟!
هنيئاً لها بهـذا الحب المشتعل ! أتمنى أن يحبنى شيحة ولو عشر هذا الحب !

قالتها إيناس وهى تقوم بترتيب بعض الأدوات الرياضية على رفوف البوتيك العليـــا وقد تدلت فوق السلم بفستانها القصير غير عابئة بتسلل نظرات معتز إلى كهوفها الدفينة تحته ! كان معتز يجلس على المقعد الجلدى الوثير واضعا ســاقا على ساق ويدخن السيجار الذى أغرم به فى السنوات الأخيرة .

قال وهو يطلق الدخان صافيا من أنفه :

– كل إنسان لابد أن تنتابه الغيرة على أمجاده وممتلكاته .. وسارة لا تنفصل عن هذه أو تلك !

– حتى لو كانت العلاقة بينكما شبه مقطوعة .. كما تقـول ؟!

ـ الجنس ليس كل شيء فى الحياة الزوجية ٠٠ لكن ما يقلقنى حقا أنها لم تعد تشعر بأدنى غيرة علىّ ٠٠ برغم موكب الحسان اللاتى يترددن على البوتيك لشراء الشورتات والفانلات والأحذية والكرات والمضارب !!

هبطت إيناس لتحرك السلم إلى الرفوف المجاورة ثم صعدت على درجاته فى خفة الغزال بحيث أوشكت ساقاها أن تتعامدا فوق رأس معتز ، وهى تقول بكل نبرات الدلال والإغراء :

ـ ولماذا تتكلم عن موكب الحسان وكأننى غير موجودة على الإطلاق ؟! فالحسان عابرات أما أنا فمقيمة فى البوتيك وأولى بإثارة غيرة زوجتك منى !! الحسان يأتين لرؤية الكابتن ميزو ويطلبن توقيعه ٠٠ إنه فى نظرهن أسطورة وتاريخ كروى مجيد ٠٠ أما فى نظرى فهو الرجل الوسيم الساحر بخضرة عينيه وصفرة شعره الذهبية والذى تتمنى أية امرأة أن تقبل الأرض بين قدميه !

كان معتز على وشك أن يقول « أستغفر الله العظيم » لكنه ابتلع الكلمات بمجرد أن رفع عينيه ليرد عليها ، فلمح الإطار الأبيض شبه الشفاف أعلى

ساقيها السمراوين فانتابته قشعريرة سرت فى جلده بدغدغة خفية قال على أثرها :

- يا بخت شيحة بك ٠٠ إن لسانك يقطر عسلا !!

- شيحة لا يهتم بالكلام المعسول ٠٠ لأن همومه المالية كثيرة ٠٠ فهو لم يستطع حتى الآن تأثيث بيت الزوجية لنا فى العمارة التى لم يكمل بناءها حتى الآن !! ولذلك لا وقت للغزل أو الغيرة بيننا !! أما غيرتك على سارة فشىء طبيعى للغاية ٠٠ فأنتم طبقة أرستقراطية غنية ٠٠ وسارة امرأة فاتنة بعينيها العسليتين الواسعتين،وشفتيها الغليظتين المتكورتين، وشعرها البنى الناعم ، وبروز صدرها النافر ، واستدارة ردفيها الجذابين ٠٠

انتفض معتز فى جلسته وهو يسعل بشدة بدخان السيجارة :

- كفى ٠٠ كفى يا إيناس ٠٠ ما لزوم هذا الكلام الآن ؟!

ـ أقصد أن غيرتك عليها فى محلها ٠٠ فهى أنثى مغرية لأى شاب !!

نفث معتز دخان السيجار بعصبية :

ـ تصورى أنها أصبحت الآن ترفض الذهاب معى لزيارة شجرة حبنا التى نقشنا عليها اسمينا داخـل قلب مطعون بسهم ٠٠ كما ترفض مشاهدة أفـلام مبارياتى ٠٠ وقالت لى بمنتهى الصراحة إنها ليست على استعداد أن تضيع عمرها فى مثل هذه الأوهام ٠٠ تصـورى أمجادى وانتصاراتى وأهـدافى التاريخية أصبحت مجرد أوهام ٠

ـ ربما كانت تغار عليك منها ؟!

ـ لا تحاولى تبرير إهمالها لى !

انحنت فوق السـلم وأفسحت ما بين ساقيهـا ليتوغل معتز بنظراته وهى تبتسم فى إغراء شـديد قائلة بهمس كفحيح الأفاعى :

ـ وما هى مكافأتى إذا أشعلت نار الغيرة عليك فى قلبها ؟!

لم يخجـل وهو يتـابع تفاصـيل سـاقيها فى

استدارتهما تحت بروز ردفيها داخل الإطار الأبيض الدقيق شبه الشفاف :

ـ سأمنحك ما تطلبين !

ـ هل هى فى البيت الآن ؟!

ـ طبعا .. لماذا ؟!

ـ سترى !

هبطت على السلم مسرعة لتبدو وكأنها على وشك السقوط من على الدرجة الأخيرة فهرع معتز إلى الإمساك بها فإذ به يحتضنها دون أن يدرى ، ورائحة بشرتها تتسلل إلى أنفه وتخدره برغم استخدامها عطرا سوقيا لم يسترح له ! تركت نفسها بين ذراعيه لكنه سرعان ما تخلى عنها ، فأسرعت إلى التليفون لتدير قرصه وهى تنظر إليه من طرف خفى ! لم يعرف ماذا كانت تنوى لكنه انتفض عندما قالت بصوت مختلف ، هامس ومغناج :

ـ مدام الكابتن ميزو ..

هجم عليها هامسا فى ذهول :

ـ ماذا تفعلين ؟!

لكنها وضعت أصابع يسراها على شفتيه الشاحبتين بدلال واضح وواصلت حديثها ذا النبرات الواثقة :

ـ من فضلك ٠٠ الكابتن ميزو موجود !

ألصق أذنه على السماعة حتى كاد خـــده أن يلتصق بوجنتها ويستشعر أنفاسها ، وصوت سارة يأتى على الطرف الآخر بمنتهى الوضوح :

ـ غير موجــود الآن ٠٠ هل من رســالة تريدين إبلاغها له ؟!

ـ أنا بصراحة إحدى المعجبات به ٠٠ قد تذهلين لفتاة مثلى تكلم زوجته بهذه الصراحة عنه !! لكنــه إذا أفلت من يدى ٠٠ فهنــاك طابور من المعجبات المتربصات بــه !! فقلت فى نفسى : أنا أولى بــه من غيرى !!

جاء صوت سارة فى غاية البرود بل والسخرية

ومعتز يزداد التصاقا بإيناس حتى كاد خده أن يلتصق بوجنتها :

ـ هل هذه هى الرسالة التى تريدين إبلاغها له ؟! أم أن هناك مهمة محددة تريدين أن أؤديها لك ؟!

كتمت إيناس غيظها وهى تتساءل :

ـ لماذا لم تسألينى عن اسمى ؟! ومن أنا ؟!

ـ الآن أعرف عنك ما يكفينى !

ذهلت إيناس لظنها أن سارة عرفت صوتها ! كانت على وشك أن تضع السماعة لكنها رفضت الهزيمة والاستسلام :

ـ ماذا تعرفين عنى ؟!

ـ أعرف أنك معجبة فى طابور المعجبات بميزو .. وهذا يكفينى ؟!

ـ ألا تشعرين بأية غيرة عليه ؟!

ـ وهل أنت معجبة به حقا ‥ أم أنك مهتمة أساسا بإثارة غيرتى ؟!

ـ هل تعرفين أننى أتكلم من البوتيك ؟!

ـ أنت كاذبة ! لأنه موجود الآن فى البوتيك !!

ـ وأنت مخدوعة وتدعين الثقة فى نفسك ‥ إذ أن زوجك العزيز المخلص يبدو أنه غطس مع إحدى المعجبات التى نجحت فى الفوز به قبلى !! فلم يأت إلى البوتيك منذ الصباح !!

ـ إذا كنت صادقة حقا ‥ دعى إيناس تكلمنى !

أسقط فى يد إيناس التى لم تتصور سارة بهذه الشخصية القوية الراسخة ! نظرت إلى معتز الذى هز رأسه علامة الموافقة ! عادت إيناس إلى صوتها الطبيعى وهى تقول :

ـ تحت أمرك يا مدام سارة !

ـ ما حكاية هذه المرأة ؟!

ـ أبداً ‥ جاءت كعادة كل المعجبات بالكابتن · لتسعد بالحديث معه والحصول على توقيعه ‥

وشراء نسخة من أفلام مبارياته .. ولما لم تجده أصرت على الاتصال بالبيت .. برغم استماتتى فى منعها حتى لا تظنى أننى خرابة بيوت !!

– ألم يذهب الكابتن معتز إلى البوتيك اليوم ؟!

– لم أره حتى الآن !

– أين ذهب ؟!

– ومن أين لى أن أعرف ؟! إنه لا يقول لى شيئا عن أسراره !! والبوتيك بالنسبة له مجرد محطة اختيارية !!

قالت سارة بلهجة حاسمة بل آمرة :

– أريده أن يتصل بى بمجرد وصوله !

وقبل أن تقول لها : أمرك ! كانت سارة قد وضعت السماعة !

انطفأت جذوة الإثارة داخل معتز فذهب ليرتمى على مقعده الجلدى :

ـ ألم أقل لك ؟!

هرعت إليه لتقف إلى جواره وقد ألصقت فخذيها بمسند المقعد :

ـ إنها لا تشعر بالنعمة التى بين يديها ! هـذا بطـر !! كم من فتاة تحلم بالزواج من نجم النجـوم وكابتن مصر مـــيزو أسطـورة الكرة ؟! لو لم أكن مخطـــوبة لشيحة لأشـعلت لك أصـابعى العشرة شموعاً !!

انتهزت فرصة كآبته التى تجسدت فى خده الذى مال على ذراعه والتصق بكفه ، فربتت على جدائل شعره الذهبية فإذ به يستكين لها كقط أليف وهو يقول بلهجة منكسرة متسائلة :

ـ هل اتصل بها الآن ؟! على أساس أننى عدت إلى البوتيك ؟!

سمحت لكفها أن تمسح خده فى حنان غامر :

ـ إن تدليلك لها هو الذى أفسدها .. كما أنها تبدو شبعانة ريانة ليســت فى حاجة إليـك على الإطـلاق !

ـ ماذا تقصـدين ؟!

ـ أقصد أن عليك الذهاب إليهـا فى ميعادك المعتاد ٠٠ بشرط أن تبدو منشرحا ومنتشيا للغاية ٠ وإذا سألتك عن السبب قل لهـا : أليس من حـق الإنسان أن يكون سعيداً ٠٠ أم المفروض فيه أن يكون تعيساً بائساً ؟! ثم لا تخبرها بأى شىء بعد ذلك على الإطـلاق !!

جـرت كفـه على يدها فسرى فى ذراعـه دفء كهـربى :

ـ وهو كذلك !!

انحنت لتقبل رأسه ولتلفح أنفاسها جبينه :

ـ مادامت إيناس على وجه الأرض ٠٠ لا تحمل همـاً !

رفعت إيناس عينيها لترى شيحة داخلا ، فتركت شفتيها على رأس معتز للحظات ثم انتفضت كأنهـا فوجئت بوجوده ، فانتفض معتز بدوره وأسرع إلى السيجار ليعيد إشعاله ! ظل شيحة مركزاً نظره على

معتز لحظات وكأنه يقول له « ضبطتك ! » ومعتز لا يدرى ماذا يفعل أو ماذا يقول ؟! وعندما شعر أن الحرج قد بلغ به مداه ، قال :

ـ كانت إيناس تتمنى أن يمنحها الله أخا ٠٠ وأخيرا وجدت فيك نعم الأخ ونعم السند !!

خرج صوت معتز متردد المخارج دون أن ينظر إليـه :

ـ حفظكما الله لى عونا وذخرا !

جلس شيحة على أحـــد الكراسى المستديرة بلا ظهـر :

ـ كيف الحال ؟!

ـ الحال لا تسر ٠٠ لم يدخـل البوتيك زبون واحد منذ مجيئى !

ـ والحال عندى لا تسر أيضا ٠٠ البضـــاعة تضاعف ثمنها ثلاث مرات ٠٠ وواضـح أن الرقابة السرية أوشكت على أن تصبح علنية ٠٠ وأنا لست

على استعداد أن أخسر الجلد والسقط ·· والعمر ليس بعزقة !!

نظـــر شيحة خارج البوتيك فى ريبة وتوجس وكأنه يخاف من العيون الراصدة ، لكن نبرات معتز خرجت مترددة مرتعشة وهو يعيد إشعال السيجار :

ـ أنا فى عرضك ·· فهى سلوتى الوحيدة ·· وبدونها الجنون فى انتظارى !

تدخلت إيناس وهى تربت على يد معتز أمـام خطيبها قائلة :

ـ بعد الشر عليك من الجنون ! يا ليتنى كنت أنـا !!

تساءل شيحة وهو يتفحصه بعينيه الضيقتين :

ـ أنا أخاطر بحياتى ومستقبلى من أجلك وهذا ثمن غال للغاية ·· وأنا لست طماعا ·· ولن أثقل عليك ·· كل ما أريده أن أدخل معك شريكا بالنصف فى البوتيك ·· وبعد ذلك لن تدفع مليما واحدا فى مقابل تكاليف المزاج !!

صمت يرى تأثير كلامه على وجهه . بعد لحظات قال معتز :

ـ نصف البوتيك يساوى عشرين ألف جنيه .. فقد اشتريته بأربعين .. وإن كان ثمنه الآن قد زاد عن ذلك بكثير !!

تقدم شيحة بمقعده بإصرار حتى لا يظن معتز أنه لايزال نجم النجوم وكابتن مصر :

ـ سأكون شريكك بالنصف دون أن أدفع مليما واحـدا .. كما أنك ستحصـــل على الكيف دون مليم واحد !!

ـ سأفكر فى الأمر !

ـ فكر بسرعة لأننى على وشك أن أترك الكار ! فلن أبقى فيه إلا من أجلك .. عن إذنك !

خرج شيحة وهو يظن أن معتزاً لن يتقبل الأمر بسهولة لضخامة المبـلغ ، لكنه لم يدرك أن المـال ليس له عنده قيمة حقيقية وأن مشكلة معتز الحقيقية أنه استنكف أن يربط اسمه برجل قادم من قاع المجتمع

فى حين أنه متربع على قمته !! لكن شيحة كان واثقا من نجاح مشروعه فى النهاية بعد أن استطاع الإمساك بدفة معتز ليوجهه كما يشـاء !

دست إيناس كتف معتز بين نهديها هامسة :

– لولا خسائر البوتيك المتتالية لطلبت من شيحة تسـديد حـق الكيف من الأرباح .. لكن مادام كل الزبائن أو معظمهم يأتون للتمتع بلقائك ومشاهدتك والحديث معك بدلا من الشراء فلا حيلة لنـــا فى ذلك . برغـم أن فى إمكانـك إغراءهم بشراء كل شىء .. حتى البضاعة التى لا يحتاجونها !

عادت مخايل العنجهية إلى صوته :

– أتريدين أن أستجديهم ؟! ليس ميزو كابتن مصر !

ثم نهض وهو ينظر إلى ساعته الذهبية :

– سأذهب إلى البيت .. وربما قضيت السهرة مع شيحة لحسم الموضوع ! سلام !

وخرج ليركب سيارته الفارهة وهو يخطط لجس نبض سارة بخصوص مكالمة إيناس المثيرة ! لابد أنها تتلظى بنيران الغيرة وإن حاولت أن تتظاهر بغير ذلك ! سيتركها على نار إلى أن تفجــر كل شحنتها المكبوتة ! فالفارق الأساسى بينهما أنه فى غيرته مفضــوح أما هى فتجيد كل أساليب التغطية والتظاهر ! ومن الآن فصــاعدا سيعاملها بالمثـــل ! صحيح أن كل من يراها يقول إنها تزداد جمـــالا ونضجا وجاذبية مع الأيام وهو ما يزيد أتون الغيرة اشتعالا ، لكنه سيشرع فى تجاهلها حتى لا تشعر بأنها محور الكون ، وسيساعده على ذلك عـــدم رغبته فيها ، وهو ما لا يستطيع تفسيره لكنه واقع بالفعل ! إن رغبته فى إيناس أشد حرقة آلاف المرات من رغبته فى ســـارة ، ولولا الفــوارق الطبقية والاجتماعية والشكلية لكانت له معها صولات وجولات ، وخاصة أن الطريق مفتوح وشيحة لا يهمه سوى المــال وهو متوافر والحمد لله ! وربما تغيرت الحال فى المستقبل واجتاح كل الحواجز إذا أصرت سارة على برودها وعدم مبالاتها !

بلغ المنزل ليطوى السلم إلى شقته دون أن يمر بشقة والديه كعادته ! وجدها مسترخية فى الأنتريه تقلب صفحات كتاب ضخم بين يديها ، ألقى عليهــا

بالسلام فردت فى اقتضاب ! تلكأ أمامها وهو يتفحص وجهها الذى افصح عن أشـياء كثيرة تريد أن تفضى بها ! سعد بجرعة إيناس التى آتت مفعولها ! أزاح حشرجة فى حنجرته وسألها :

ـ هل سأل علىّ أحد ؟! أقرأ فى عينيك كلاما كثيرا تريدين الإفضاء به ؟!

دهشـت لذكائه المفاجىء ، فهى لم تألف مثـل هذه اللماحية معه ، إذ أن فكره أو تفكيره يدور فى دائرة مفـرغة لا يحب ولا يعرف الخـرج منهـا ! ابتسمت برغم أنفها وقالت :

ـ نعم ٠٠ لدى كلام مهم أريد الإفضاء به !

طار قلبـه بأجنحة النشـوة التى صفقت طربا فجلس أمامها :

ـ وأنا قلبى مفتوح لكل كلمة ستنطقين بها !

ذهلت لهذه النغمة الجديدة المتصاعدة كأن تحولا سحريا قد جرى له :

ـ القلب المفتوح فرصة نادرة فى هذه الأيام ٠٠ ولن اتركها تفلت من يدى ٠٠ وأرجو أن يكون العقل مفتوحا أيضا ٠٠ إذ أن ما فعلته لا يجب أن يضايق أحدا من قريب أو بعيد !!

كانت المعـــانى أسرع أو أكثر غموضـا من أن يلتقطها فقال :

ـ ما فعلته أنا أم ما فعلته أنت ؟!

ـ ما فعلته أنا ؟!

لم يصدق أذنيه وزاد شحوب وجهـــه ورعشة شفتيه :

ـ ما فعلته أنت ؟! ماذا فعلت ؟!

لم تتأثر بانفعاله الذى اعتادته وواصلت حديثها ببساطة :

ـ كنت قد تقدمت بمؤهلاتى للشركة التى يعمل بها ضياء بعد أن أعلنت عن شغل وظيفة محام فى إدارة الشئون القانونية ٠٠ لم يكن عندى أمل حقيقى أن يقبلونى ٠٠ لكننى فوجئت اليوم بقبولهم لى !!

صمتت لترى بوادر الإعصار فى عينيه الزائغتين اللتين فقدتا وميضهما الأخضر وساقيه اللتين تقلصتا على حافة المقعد ٠ زمجـر :

ـ كل هذا يقع من وراء ظهرى ؟! ما عاشت الزوجة التى تجعل من زوجها طرطوراً ؟!

كان من الواضح أن سارة أعـــدت نفسها لكل الاحتمالات :

ـ لا تصرخ ٠٠ رانيا نائمة !

ـ سأصرخ حتى أفضحك أمام الحى كله ؟

ـ تماما مثل النساء اللاتى يولولن حتى يشبع الناس رجالهن ضربا !

ـ وتقولين لى يا فاجرة أننى امرأة ؟!

ـ اعتدت على هذه الألفاظ معك !!

نهض والغرفة تدور به ليمسك بالمطواة الموضوعة

على التليفزيون ويفتحها ويشهرها فى وجهها لكنهـا لم تتحرك من مكانها وهو يعوى :

ـ هل تذكرين موسـم ذبح الإناث الذى حدثنا عنـه أستاذى فى كلية الطب البيطرى ؟! يبدو أن موسمك قد حـل !!

كانت تشعر بقوة فائقة وهى تراه يهتز أمامهـا كورقة الخريف :

ـ وتذكر أيضا أنه كان ينتفض رعبا كلما سمع صـوت زوجته !! أنت لم تتذكر من دروس الطب البيطرى التى لم تكملها سوى هذه الحكاية السخيفة !!

ـ لا تحـاولى استفزازى أكثر من هـذا ٠٠ وإلا سيكون آخر يوم فى حياتك !!

ـ إذا كان هذا سيرضى غرورك ويطفىء نارك ٠٠ اقتلنى ٠٠ فلم يعد لدى ما أخاف عليه أو ما أخاف منـه ؟! حياتى معك ٠٠ العدم خير منها !

ـ إذا كان الموت سيريحك فسأحرمك من هـذه الراحـة !!

ثم انفجرت ضاحكة فى سخرية مريرة :

ـ لمن أبقى فى المنزل ؟! لك أنت يا من يضيع حياته هدرا ويريد أن يفرض الضـياع على كل من حوله ! حتى رانيا قالت لى إن زملاءها فى الحضانة يستمتعون بصـحبة آبائهـم ·· إلا هى لا تكاد ترى أباها !

ـ أبوها لا يعيش حياة فارغة مثل آبائهم !!

ـ فعلا ·· حيـــاة حافلة فى البوتيك والنادى والأقراص وأفلام المباريات التى حفظناها عن ظهر قلب !

ـ أعلم أنك تموتين غـــيرة من وجـودى فى البوتيك ·· أما لو ذكرت الأقراص على لسانك مرة أخرى ·· فستكون نهايتك المحققة على يدى !

حرك المطواة نصف دائرة فى الهواء فابتسمت فى تهـكم :

ـ ألا تخجل وأنت واقف هكذا كمحترفى الإجرام وقطاع الطرق ·· وأنت الذى تفخر دائما بأنك ابن الأكابر ؟!

سقطت ذراعه بالمطـواة إلى الأرض فى حـين طفحت نبرة الأطفال على كلماته وهو يقول :

ـ لن تذهبى للعمل ؟! لن تنجح مؤامرتك مع ضياء علىّ !! كم كان يغار منى وأنا نجم الفريق القومى ؟! والآن يريد أن ينفث سموم حقده حتى يهـدم بيتى !! إنها غلطة عمرى عندما أتيت به إلى هـذا البيت !!

ـ حاول أن تفهم الناس على حقيقتهم مرة واحدة فى حياتك ! إن ذهابى إلى العمل خير ألف مرة من بقائى فى البيت لأجن أو أنتحر !! وإذا كنت واثقا فى نفســك فلابد أن تثــق بى ٠٠ لأنك أدرى الناس بشخصيتى وأخلاقياتى ٠٠ وإذا كنت لا أغار عليك من المعجبات فذلك راجع لثقتى فيك ٠٠ أما الرجال الذين سأقابلهم فى عملى فمجرد زملاء لا يجب أن يثيروا غيرتك ٠٠ لثقتك فىّ ٠٠ وهى ثقة أظن فى محلهـا !!

صمتت لتلتقط أنفاســها وهى تستشعر بوادر النصر ! وبالفعل عاد إلى الوراء ليرتمى على مقعده وهو ينهنه كأنه يخاطب نفسه كالأطفال :

ـ أى رجل سيتصور نفسه معجبا بك ٠٠ سيكتب نهايته بيده !

انحنى ليلتقط المطواة مرة أخرى وهى تقول :
ـ لن يجرؤ رجل على ذلك !!

ـ وسترتدين ملابس محتشمة لا تبدى مفاتنك على الإطلاق !!

ـ أنت تعلم أسلوبى فى ارتداء الملابس !

ـ لا فساتين قصـيرة أو خفيفة أو مفتوحة من خلف أو أمام !!

ـ لك ما تريد !

اجتاحه إحســاس مرير بالهزيمة والاستسلام ! إحساس خبره مراراً من قبل ، وفى كل مرة كان يطبق عليه كالقدر الذى لا فكاك منه ! تجنب النظر إليها فقد كان وميض عينيها العسليتين يخترق جسمه حتى شعر بالعرى أمامها ! كان يفكر فى انتقام فورى يخلصه من إحساس الهزيمة المريرة ، فإذ به دون تفكير يرفع السماعة ويدير القرص ليتصل بشيحة ويضرب معـه

ميعاداً فى المساء للاتفاق على حسم الموضوع وإنهـاء الصفقة !! بعـــد المكالمة نظر إليها من طرف خفى فوجدها وقد انهمكت مرة أخرى فى تقليب صفحات الكتاب الضـــخم بين يديها ، فكاد يموت خنقـاً وكمداً !!

* * *

(١١)

عندما استشعرت سارة قوتها التى يمكن أن تمارسها على معتز ، ظنت أنها بهذه القوة يمكنها بالتدريج أن تعيده إلى جادة الصواب برغم حالته التى كانت تتفاقم وتتعقد مع الأيام ، وتأنيب أمه المتواصل لها واتهامها بأنها السبب فى كل ما جرى له ! أما أبوها فكان ينظر إلى ما يجرى على أنه امتداد لكل تنبؤاته القديمة ، ومع ذلك عرض على سارة كل مساعدة ممكنة بما فيها مصاريف إدخاله مصحة للإدمان . فقد أصبح معتز يصرف كل دخله على الأقراص المخدرة وشم الهيروين ، مما جعله يبيع النصف الثانى من البوتيك إلى إيناس لتغطية مصاريفه الباهظة !

تزايدت مشاحناته مع سارة التى حاولت مراراً إقناعه ثم الضغط عليه للذهاب إلى الطبيب بكل الوسائل الممكنة بما فيها البكاء والاستعطاف الذى كان يسعد به كثيرا ، ومع ذلك لم يكن يرضخ لرغبتها فى النهاية ! وذات مرة اتفقت مع ضياء على إحضار

طبيب له فى المنزل على أنه زوج زميلة لها أتت معه فى زيارة لهما ، لكنه يكتشف من حوار الطبيب وأسئلته حقيقة وظيفته فيثور ويطرده من البيت شر طردة فى موقف غاية فى الحرج ! لكن الطبيب يرفع عنهـا الحرج لتعوده على مثل هذه المواقف ثم يؤكد لها أن الرغبة فى العـلاج لابد أن تكون نابعة من المريض ذاته ! أما المريض الذى يصر على رفض العـلاج ، موحيا للآخرين بسلامة صحته ، فقـد كتب نهايته بيـده !

وبالفعل تدهورت حالة معتز الذى أهمل مظهره تماما ، وترك ذقنه دون حلاقة ، وأصبح يثير الرثاء حيثما حل ، وخاصة فى النادى عندما كانت الهتافات تصك أذنيـه فى مباراة من المباريات ، فيظن أنهـا موجهة لتحيته شخصيا فيرفع يديه لتحيـة المعجبين الوهميين ، كما كان يرد هذه التحيات فى الشـارع وهو يسير أمام المحال والمقاهى التى تتابع إحـدى المباريات فى التليفزيون ، وسـط نظرات الرثاء من الذين يعرفونه أو لايعرفونه ! وإذا ما قبع فى البيت فليس لديه سوى السباب والشتائم والعراك واجترار أفلام مبارياته القديمة ، واستذكار الصحف والمجلات

القديمة التى تصـــوره وتحكى اخباره ، ثم البكاء المرتعش والأقراص المخدرة ! والكوابيس التى تدفعه للاستيقاظ ليلا ليهذى بكلمات غير مفهومة ، والسير نائما مما أفزع ابنته التى أصبحت تخافه !

تأكدت سارة أن حياتها معه أصبحت مستحيلة ، لكن يبـــدو أنه كتب عليها أن تعايش المستحيل ! أصبحت تخافه وترتعد منه كلما انتابته نوبات الهذيان والشرود والتهور ، أو أحرقته نار الغيرة والشك ، وخاصة عندما وجدها ترتدى أفخر الثياب التى تبرز جمـــالها وجاذبيتها وإن كانت لا تبرز أو تكشـــف ما لا يليق من جسمها • ففى وسط كل هـذا الحطام والانهيار ، حافظت على مظهرها وأناقتها وســط زملاء لا يحترمون ســوى الأناقة والجمــال • فقــد شعرت بأن أنوثتها التى دفنت طـــويلا تحت تلال الخوف والقلق والتوتر والضيق ، آن لها أن تتمتع بها كأية امرأة حباها الله هذه النعمة ، لكن كيف ؟! والعمـــر يمر ولن يعيد معتز عجلته إلى الوراء ؟! ولولا عملها وابنتها لمـا عرفت كيف تواصل الحياة ؟! ولذلك أغدقت كل عواطفها وآمالها على رانيا التى تعلقت بها بجنون ! كانت متعتها الكبرى أن تتناول معها الإفطار وتصطحبها فى سيارتها إلى مدرستها ،

ثم تعود بها إلى البيت بعد انتهاء اليوم الدراسى !
وكم رثت لزوجها عندما كانت الغيرة تلسعه بنارها من انكبابها بعواطفها وحبها على ابنتها ؟! لقد بلغ به الوضع إلى الغيرة من ابنته الطفلة !!

وإذا كان لا يستطيع التدخل فى العلاقة الحميمة بينها وبين ابنتهما ، ففى إمكانه إفساد علاقتها بالعمل الذى يجعلها تهمله تماما ! بدأ يمنعها من الذهاب إلى العمل بإغلاق باب الشقة أحيانا ، وسرقة مفتاحها أحيانا أخرى بحجة أن عليها أن تغير ملابسها الفاضحة والتى لم تكن فاضحة على الإطلاق ! ولكى تبطل حججه الواهية كانت تضطر إلى الرضوخ له وارتداء بعض الملابس الثقيلة الطويلة التى لا تناسب الطقس الحار حتى تتجنب المتاعب معه بقدر الإمكان . وعندما كان يشعر بانتصاره عليها فى مجال العمل ، كان يواصل زحفه فيحاول إستمالة ابنته بالملاطفة والهدايا ، لكن الطفلة لم تخف خوفها الدفين من تصرفاته تجاهها ، مما ضاعف من اشتعال نار غيرته من أمها المحبوبة من الجميع فى حين وجد نفسه منبوذا من الكل ، حتى من أقرب الناس إليه !!

تردد صدى كلمات إيناس المسمومة فى أعماق

معتز فاستعر الشك فى خلايا مخه كمفعول الهيروين عندما يسرى فيها ، وأوحى لنفسه بأن فى حياتها رجلا آخر دفعها إلى النفور منه ! وبدأ بالفعل فى مراقبتها من طرف خفى إلى أن يكتشف ذات يوم ما ظن أنه بداية الخيط الذى سيصل به إلى فض كل مغاليق الظواهر التى لا يستطيع أن يفسرها أو يستوعبها !

اعتاد الوقوف على ناصية الطريق فى مواجهة مدخل العمارة التى تقع فيها شركة زوجته التى رآها تهبط مسرعة لتتوجه إلى سيارتها ، وإذ بها تدور حولها وكأنها تتفحص شيئا معينا ، وإذ بشاب وسيم أنيق ينظر إليها ثم يسرع خلفها ثم يقف إلى جوارها وهى منحنية خلف السيارة ، وإذ به ينحنى هو الآخر بعد أن يتبادل معها حديثا باسما ، جعل معتزاً على وشك الانطلاق نحوهما لكنه تماسك حتى يترك لهما الحبل على الغارب كى يضبطهما متلبسين ! كانا قد اختفيا تماما خلف السيارة ، ومع اشتداد تأثير الأقراص على معتز كان يتحسس من حين لآخر المطواة التى دسها فى جيبه وهو مرابط فى مكانه حتى نهض الشاب مرة أخرى ومعه سارة حيث رفع إطاراً

ليضعه فى مؤخرة السيارة التى كان قد فتحها من قبل ليخرج الإطار الاحتياطى ٠ مدت سارة يدها بالسلام الحار وابتسامة عريضة على وجهها وشفتيها لم يرها معتز منذ سنوات بعيدة ٠ تركها الشاب سعيداً ليقود سيارته فى اتجاه مضاد لطريق سارة !

أسرع معتز خلفه بسيارته فى مطاردة لم يشعر بها الشاب الوسيم الأنيق الذى بدت على وجهه مسحة من الحزن الدفين لم يلحظها معتز الذى لايزال دمه يغلى وهو يحاول تفسير أو تخمين الحدث الباسم بينهما !

بلغ الشاب أحد أطراف القاهرة النائية حيث توقف بسيارته أمام أحد المصانع ليهبط منها ويختفى داخله ! ودون أى تفكير دخل معتز خلفه قائلا لسكرتيرته التى ذهلت لنبراته المتهدجة :

ـ لابد أن أقابله !! إنها مسألة حياة أو موت ؟!

ذهبت السكرتيرة ودخلت مكتبه لتختفى لحظات ثم عادت وهى تفتح له الباب للدخول ٠ وينهض الشاب المهذب الرقيق للترحيب بمعتز والتعبير عن استعداده لخدمته إذا كانت فى إمكانه ، لكنه يصعق

عندما يتهمه معتز بعلاقة حب محرمة مع زوجته سارة ، ومع ذلك يتماسك عندما يلحظ حركات معتز العصبية المتشنجة ، وكلماته المتهدجة من بين شفتيه المرتعشتين ، وحمرة عينيه الحائرتين ، وصفرة وجهه الداكنة ، وشعره الأشعث ، وذقنه النابتة بلا نظام ، ودخان السيجار المتدفق من أنفه كمدخنة خربة !! أقسم له بكل المقدسات بأنه رآها لأول مرة وهى تحاول جاهدة أن تغير إطار سيارتها الذى أفرغ من الهواء ، وأى رجل مكانه كان يمكن أن يفعل ما فعله ! بل كان أولى بزوجها وهو يتابع الموقف عن كثب أن يقوم بهذه المهمة بدلا من إلقاء التهم الخطيرة على الأبرياء الذين لم يقصدوا سوى المساعدة !

يخجل معتز من نفسه ويخرج آسفا ، لكن شيئا غامضا بداخله يؤكد له وساوسه مرة أخرى وهو منطلق بسيارته إلى سارة ! ربما كان هذا الشاب هو الذى قام بإفراغ الإطار من الهواء حتى يتحجج بالحديث مع سارة والاتفاق معها على موعد لقاء آثم ؟! وربما كان على علاقة بها منذ أن أهملته تماما ؟! آه لو امتلك الدليل الدامغ على خيانتها ، عندئذ ستدفع حياتها ثمنا لذلك وسيواجه هيئة المحكمة بجرأة الأبطال ، وستسلط عليه الأضواء

والكاميرات مرة أخرى ليعلم التاريخ أن الكابتن ميزو الذى دفع مستقبله ثمنا لشرف الكرة ، على استعداد ليدفع حياته ثمنا لشرفه هو !! وطوال الطريق كان يتحسس المطواة الكامنة فى جيبه من حين لآخر !!

يواجـــه معتز ســـارة بشكوكه فتتهمه صراحة بالجنون ، وتطالبه لأول مرة بالطلاق وخاصة أنها تملك كل المبررات التى تدفع المحكمة إلى منحها حق الطـــلاق منه ! ومـــع ذلك يحاول مواصلة مناقشة الموضوع معها لكنها تترك المكان لأنهـــا ليست على استعداد لمجـادلة المجانين ! كان يتمنى أن يصفعها على وجهها لشكوكه التى تضاعفت على أساس أنها تتجنب المواجهة الصريحة حتى لا يفلت لسانها منها وينكشف أمرها ، ومع ذلك قـرر تأجيل المواجهة الحاسمة لحين امتلاك الدليل القاطع لشكوكه ولعنتها فى الوقت نفسه ! أما الطلاق الذى تتبجح به عليه الآن فنجوم السماء أقرب إليها منه !

كانت سارة تفكر جديا فى هجـر بيت الزوجية والانتقال مع ابنتها إلى شقتها فى بيت أبيها ! لكن خوفها من الفضائح هو الذى جعلها تتردد ألف مـرة قبل الإقدام على هذه الخطوة ! فلم يكن معتز يتورع

عن تفجير أية فضيحة على مسمع ومرأى من كل من هب ودب ! ويكفيها أن حياتها الأسرية أصبحت كتــابا مفتوحا فى النادى والحى والبوتيك والشركة ! ولذلك حرصت على النوم مع ابنتها فى غرفة تغلقها بالمفتاح ليــلا ، فهى لا تعرف الخطوة القادمة التى يمكن أن يقدم عليها زوجها المجنون ! كذلك لم يهتم معتز كثيرا بباب غرفة النوم الموصد على زوجته وابنته مادام هو مستمتع بالسهر أمــام الفيديو مع شيحة وإيناس التى كانت تجلس ملتصقة بمعتز أمـــام شيحة الذى تابعهما بعينين قريرتين ، فقد باع معتز نصيبه فى البوتيك بالتقسيط لإيناس مقابل الاستمرار فى تموينه بلوازم الكيف والمزاج الشره الذى لا يعرف لنفسه حدوداً !

وبرغم كل الطرق المسدودة بين معتز وسارة ، فإنه لم ييأس بل دفعه جنونه المتفجر بالشكوك للعودة إلى الشاب صاحب المصنع الذى لم يتعاطف معــه هذه المرة ، وبلغ به السـأم درجة نصحه فيها بتطليق زوجته مادامت الأمور وصلت بينهما إلى هذا الحد من الشكوك والتجسس وفقدان الثقة . لم يصـــدق معتز الشاب بل زادت شكوكه فيه ، وخاصة بعـد أن نصحه بتطليقها ، وهذا يعنى أن له مصلحة فعلية فى طلاقها منه !! لذلك قرر التحرى عن كل قنـــوات

اتصالاتها حتى يسدها كلها فى النهاية تمهيداً لوضع حد لكل متاعبه !

قرر أن يهاجمها فى عقر دارها ، أى فى مقر عملها ، بعد أن أيقن أن خروجها إلى العمل هو أس الفساد ، وأن حبسها فى البيت هو خير وسيلة لتجنب كل هذه المصائب المتتابعة على رأسه ! وعموما فالسجن فى البيت خير لها من الإعدام ذبحا بمطواة ! وعلى هذا ذهب لمقابلة رئيسها فى الإدارة القانونية وقد حرص على ألا تراه ، أما ضياء فقد تأكد من وجوده فى الإسكندرية فى ذلك اليوم للقيام بمهمة قانونية للشركة فى منطقة الجمرك ٠ حاول معتز استعطاف مدير الإدارة القانونية لمساعدته فى إنقاذ بيته الذى انهار نتيجة لانشغال زوجته فى عملها ليل نهار ، وخاصة أنها ليست فى حاجة إلى المرتب لدخله الكبير كمدرب كرة ولدخله من ممتلكاته ومن البوتيك أيضا ! لكن رئيس سارة كان على علم بأكاذيبه بعد أن قصت عليه سارة مأساتها ، فصارحه بأنه لا يستطيع أن يطردها من عملها نظراً لكفاءتها العالية التى شهد بها الجميع ، وعليه هو – أى معتز – أن يقنعها بترك العمل بمحض إرادتها !

وعندما يطيش هذا السهم يتجرأ معتز ويصارح

رئيسها بشكه فى علاقة سارة بأحد زملائها ، ويحدد له أوصافه : أنيق ، رشيق ، يرتدى نظـــارة طبية ! عندئذ يسأله عن اسمه لأن هـذه الأوصاف شائعة بين موظفى إدارته ، فيسقط فى يده ويعترف بأنه لا يعرف اسمه ! ينهض المدير ويجذب معتزاً من يده لكى يقوم بمحاولة تعـرف شخصية على موظفى الشركة لعــله يجد بغيته ويواجهه ، لكنه يتملص من يده رافضا التحرك من مكانه وهو يخبر المدير بأن هذا الموظف يملك مصنعا صغيرا أيضا ! فى تلك اللحظة يتأكد من جنونه فعــلا بعــد أن كان يظن أن زوجتــه تتهمه بالجنــــون على سبيل المبالغة ، ولذلك يضحك فى سخرية وهو يسأله :

ـ ما حاجة صاحب مصنع للعمـــل موظفا فى شركة ؟!

خرج معتز منكس الرأس وقد انطلق إلى الباب الخارجى كالسهم الطائش خوفا من أن تلمحه سارة ! وندم وهو يركب سيارته أنه لم يأخذ من الرجل وعداً للاحتفاظ بتلك الزيارة سرا بينهما ! فهو يريد أن يفاجىء سارة بالدليل الدامغ كالقضاء العاجل والقدر الذى لا فكاك منــه ! كان واثقـــا من قدرته على التخطيط إلى ما لانهاية ، وسيثبت لسارة فى النهاية

أن مهارته فى هذا المجال لا تقل عن عبقريته فى الكرة حين كان يخطط للهجوم كصانع ألعاب ثم كهداف لا يشق له غبار !!

لكنه فقد السلاح الذى كان يساعده على مواصلة المعركة برغم تدميره المتواصل لصحته الجسدية والنفسية ! السلاح الذى بدونه يمكن أن يسقط كبيت هش بنى على الرمال ! السلاح الذى يوهمه بقدرته الخارقة على الإتيان بالعجائب كما كان يفعل فى ساحة الكرة ! السلاح الذى يمنحه طاقة التفكير الجهنمية ليل نهار دون كلل أو ملل ! السلاح الذى انسحب من قبضته كالشعرة من العجين دون سابق إنذار ! لقد توقف ينبوع الكيف والمزاج ونضب تماما عندما توصلت الشرطة إلى شيحة وإيناس صاحبى البوتيك بعد أن باع معتز نصيبه لإيناس واستلم منها أول قسط ! لقد ثبت من تحريات الشرطة أن شيحة يقوم بتهريب الهيروين فى ألسنة وكعوب الأحذية المطاطية الرياضية المستوردة على وجه الخصوص ! كان يقوم مع عصابته بتفريغ الألسنة والكعوب المنفوخة بالهواء بالطلمبة الذاتية ، ثم يملأ التجويف بمسحوق الهيروين ويلغى دور الطلمبة !! ثم يتوافد العملاء على البوتيك وكأنهم رياضيون يسعون لشراء أحذية جديدة ! فقد رصدت عيون الشرطة السرية نفس

الزبائن وهم يعودون لإرجاعها بحجة ضيقهـــا أو اتساعها أكثر من اللازم ، ويخرجون بأحذية جديدة تناســـب حجم أقدامهم ، لكنهم سرعان ما يعيدون الكرة بنفس الحجة وبدون أى اعتراض أو احتجاج من صاحب البوتيك ذى الصـدر الرحب والصـــبر الجميل ! تماما مثل إعادة فوارغ المياه الغازية للبائع والحصول على زجاجات مليئة بدلا منها !

دست الشرطة عليه أحد مخبريها السريين الذى طلب شراء حذاء رياضى فأتى له شيحة بحـذاء من النوع العادى ، فطلب منه حذاء ذا طلمبة هوائية فى لسانه ، فقال له :

- الأحجام الموجودة الآن صغيرة لا تناسبك !!

- الحذاء ليس لى ٠٠ وإنما لابنى الصغير !

- يستحسن أن تحضره معك ليقيسه بنفسه !!

- هل يمكن أن ألقى عليه نظرة ؟!

تردد شيحـة لحظـات لكنـه استدرك الأمـــر وقدم الحذاء فى تحفظ ، وسرعان ما أخـــذ المخبر السرى يقلب فى الحذاء ويضغط على مكان تجـويف

الطلمبة ، فإذ بشيحة ينزعه من يده ، وقبل أن يفتح فمه بكلمة كان رجال الشرطة قد أحاطوا بالمحل وأمسكوا به معلنين عن شخصياتهم ، وقائدهم يفتح مكان الطلمبة لتتطاير منه ذرات الهيروين ! وتم القبض على شيحة وإيناس ، وأغلق البوتيك لأجل غير مسمى ووضع تحت الحراسة !

جن جنـــون معتز عندما نضب ينبـوع الكيف والمزاج ! فقد دفع ثمن البوتيك كله فى مقابل الكيف ، وعاش على أمل تسديد إيناس للأقســاط وبالتالى إمداده برحيق روحـه كما كان يسديه ! لكن هاهى إيناس تذهب مع الريح فى صحبة شيحة إلى مصير محتوم ! فالتهمة ثابتة ولا رحمة لتجار الموت ! ولم يخفف من بلواه بعض الشىء سوى بيعه لنصيبه فى البوتيك قبل القبض عليهما بشهر واحـد فقط !! وإلا كان مصيره معهما ، إما إلى حبـل المشنقة أو إلى قطع الأحجار فى الجبل تحت الشمس المحرقة أو إلى زنزانة السجن المؤبد ! وكان فخورا بتصريحه للصحف بأنه باع البوتيك ولم تعد له أية رابطة به سوى اللافتة التى تحمل اسمه والتى استغلها المالك الجديد لترويج بضاعتهما نظرا لشهرة الاسم وتاريخه العريق فى أمجاد الكرة !!

لكن فرحة معتز بنجاته من هذا المصير المرعب لم تطل ، إذ سرعان ما أحرقته نيران الكيف الضائع ، وهام على وجهه بحثا عن مصدر جديد له ، لكنه شعر أن عيون الشرطة تحاصر النـادى وترقب أيـة حركة مريبة ، فكاد يموت قهرا واختناقا ، وخاصة أن الشبهات لم تبتعد عنـه تماما ! يكفى أن ترويج الكيف كان يجرى فى البوتيك الذى يحمل اسمه حتى لو كان قـد باعه ! وخاصة أنه عرف عنه أنه اعتـاد قضاء فترات طويلة فى هـذا البوتيك ! وقـد يكون تاريخه الكروى العريق قد جعل رجال الشرطة ينأون عن القضاء عليه تماما ، ولذلك تحتم عليه أن يكون حريصا من الآن فصاعدا ! لكن كيف يكون الحرص مع هذه النار التى تلتهم خلايا مخه ؟!

فى الأيام الماضية كانت انطلاقات الكيف كفيـلة بتحمله لنار الغيرة ، أما الآن فقد أصبح بين نارين : نار مخه ونار قلبه !! قرر أن يطفىء نار الغيرة ، بطريقة أو بأخرى ، فربما ساعده هذا على مواصلة البحث عن مصدر جديد للكيف الضـائع ! عاد إلى مواجهة زوجته بشكوكه القاتلة لعله يستشف منهـا ما لم يستطع أن يلتقطه من ذلك الشـاب الناجح

الغامض ، وخاصة أن زوجته كانت قد بلغت من اشمئزازها منه درجة لم تعد تحتمل فيها مجرد النظر إلى وجهه ، وتكررت مطالبتها بالطلاق !

صارحها بكل جرأة وجنون بأنه يعرف السر الذى جعلها تنفر منه ، والرجل الذى دخل حياتها وتربع على عرش قلبها ، وسرقها منه فى غفلة من الزمن ! لكن الكيل يفيض تماما بسارة هذه المرة وتثور ثورة عارمة عندما وجدته يطعن فى شرفها بهذه الصفاقة ! وفى ثورتها تصارحه بكل السفالات التى ارتكبها فى حقها وظن أنها عنها لاهية : ذكرته بالملف الذى أحضرته يوما إلى البيت لدراسته فحاول إخفاءه حتى يشوه صورتها فى الشركة ، وخاصة أنه كان يحتوى على قضية فى منتهى الأهمية والخطورة ، ولولا رانيا التى لمحته من طرف خفى وهو يخفى الملف فى مكان لا يخطر ببال أحد لما توصلت إلى مكانه أبداً ، ولظهرت أمام رؤسائها بمظهر المحامية التى لا تحمى مصالح الشركة التى تمنحها المرتب المجزى !! كذلك ذكرته بلقائه بمدير عام الشئون القانونية فى محاولة لطردها ، ثم فى محاولة لتشويه سمعتها بادعاء علاقة وهمية بينها وبين ذلك الشاب الذى لا تعرفه !! ذكرته أيضا بمكالمات إيناس التى

ادعت أنـه سيتزوجها بعـــد أن يطلقها حتى تثير غيرتها بطريقة صبيانية ، فى حين أن المتسولة القبيحة لا ترضى به زوجا !! ذكرته أيضا بمحاولاته مراقبتها عن بعد ظنا منه أنها لا تراه وهى التى تعرفه ككف يدها !! ذكرته بغيرته القاتلة منها وليس عليها كمـا يظن ، بعـد أن أثبتت كيانها واكتسبت احترام كل الناس ، فى حين ظل – وهو الرجل – عاجزا عن أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ، واكتفى بالحقد على الناجحين ومحاولة هدمهم بدلا من بناء نفسه !! ذكرته بمحاولاته المراهقة فى تهديدها بالمطواة ظنـا منه أن خوفها منه يمكن أن يمنحه حبها بهذه البساطة وهو يذكر لها تلك الحكاية المملة السخيفة التى تدور حول موسم ذبح الإناث !! ذكرته بشكوكه وهواجسه ووساوسه التى لا تدل إلا على أنه إنسان فقـد الثقة بنفسه قبـــل أن يفقدها فى الآخرين ، وأنه مريض لا يعترف بمرضـه برغم خطورته ويصر على رفض العلاج ، وأنها تلعن – ليل نهار – اليوم الذى ارتبطت به فيه ، وأنه أنانى لا يعرف سوى دائرة نفسه الضيقة المظلمة فى حين يتهمها هى بالأنانية والامتناع عن

رعايته وهو الذى داس بحذائه كل أنواع الرعاية ، ويريد أن يفقدها وظيفتها حتى تظل رهينته وسجينة البيت إلى الأبد ، لكنها لن تمكنه منها أبدا حتى لو قتلها فى موسم ذبح الإناث كما صور له خياله المريض من قبل !!

انتابت معتزاً إحدى نوبات التشنج التى أصبحت تنتابه فى الفترة الأخيرة بكثرة وبشدة ، وإذ به يرتمى على الأرض ويستعطفها ويكاد يقبل قدميها ، لكنها لم تعد تحتمل أكثر من ذلك ! جرت لتأخذ طفلتها التى كانت قابعة فى غرفتها تتصنت وهى ترتعد رعبا ، وكادت تطير بها إلى بيت أبيها وهى تصرخ متشنجة على درجات السلم وعلى مسمع من أبويه بأنها لن تعود إليه حتى لو أرسل إليها أبالسة الجحيم لإجبارها على العودة ، وإذ به ينتفض واقفا ومنطلقا إلى السلم ليصرخ خلفها بكلمات كطلقات الرصاص :

- نجوم السماء أقرب إليك من الطلاق .. سأتركك هكذا كالبيت الوقف .. سأظل سيدك وتاج راسك إلى الأبد برغم أنفك !!

❊ ❊ ❊

(١٢)

حاول معتز تجاهل سارة كأنها لم تكن ، وخاصة أنها لم تكن ذات وجود حقيقى فى حياته منذ بداية انهياره وتدهوره ! ومع ذلك شعر بفراغ قاتل وهو يحاول مواصلة إهمالها ، لدرجة تصور فيها أن رباط الكراهية بين البشر يمكن أن يكون أقوى ألف مرة من رباط الحب ! بل إنه عجز عن تحديد نوعية ارتباطه الحميم بسارة : هل هو رباط الحب أم الكراهية أم الحقد أم العنجهية أم الإذلال أم كل هذه المشاعر والأخلاق والسلوك جميعا ؟! برغم كل ذلك أو لكل ذلك أيقن أن حياته مستحيلة بدونها !

بذل كل المساعى الممكنة وغير الممكنة لإرجاعها ! حتى أمه وأبيه أجبرهما على الذهاب إليها والتذلل لها وهما اللذان اعتبرا أسرتها من محدثى النعمة التى هبطت عليهم دون داع ! كذلك استعان بسحر وضياء اللذين أشفقا على سارة من عودتها لمعتز ولذلك كان حديثهما معها من باب سد الخانة !

وأخيرا تذلل لأبيها وأمها كى يسانداه فى مساعيه لكنهما تأكدا أن أوان الإصلاح قد فات ! ثم ألقى بآخر ما فى جعبته من سهام وذهب إلى لقائها فى مقر عملها لكنها قد أوصت إدارة الأمن فى الشركة بمنعه من الدخول ! فكر فى انتظارها فى الشارع ليجبرها على لقائه عند نزولها ، لكن مرارة الإذلال والمهانة جرت فى لعابه فأشفق على نفسه ! فالتربص بها فى الشارع من الممكن أن يدفع الغوغاء والدهماء والسوقة إلى الاعتداء عليه بحجة الدفاع عن « الحرمة » ! فلتذهب « الحرمة » إلى الجحيم ولتبق كرامته فى عنان السماء !

عاد إلى تجاهلها لعل الزمن يلين من عنادها ! لكن يبدو أنها قررت عدم العودة إلى جحيمه المستعر المتجدد مهما كان الثمن ! وإذا كانت قد ركبت فرس العناد ، فهى تعلم جيدا أنهم كانوا قد أسموه منذ طفولته « ملك العناد والرأس الحجر » ! عجز عن الاستمرار على هذا الوضع وخاصة أن مزاجه العكر كان يزداد سوءاً مع انقطاع المدد ومحاولاته الذليلة للبحث عنه عند مصادر أخرى قد تؤدى به إلى السجن !

أخيرا اقتحم شقتها كالإعصار فاضطرت لأن تفتح

له بعد أن أوشك على كسر الباب فى حين هرع أبوها وأمها لخوفهما من أن يصيبها بمكروه ! ولذهولهما وجداه يستعطفها ويتذلل لهـا حتى كاد أن يقبل ساقها ، لكن الاشمئزاز الذى اجتاح بشرتها كلها بالقشعريرة جعلها تنتزع نفسها منه وهى تصرخ فيه :

ـ إذا كنت لاتزال تملك شعرة من احترام الذات ·· فعليك أن تطلقنى !

انتفض واقفا وهو يحك لحيته النابتة بأظافره الطويلة وقد اكتست عيناه بحمرة الدم :

ـ سأطلبك فى بيت الطاعة !! سأذيقك الذل والهوان قطرة قطرة ·· فلم يخلق بعد من يستطيع إذلال نجم النجوم الكابتن ميزو !!

ثم تقدم نحوها فتصدى له أبوها :

ـ إياك أن تعتدى عليها ·· وإلا فسأطلب البوليس فورا !

تحسس معتز المطواة الكامنة فى جيبه قائلا :

ـ البوليس معى ضدكم ·· سيعيدها إلى بيتى

قسرا ٠٠ لكن قبل ذلك لابد أن أصارحها أمامكم بالسر الحقيقى فى رفضها العـــودة إلى بيت الزوجية ٠٠ ابنتكم زوجة ناشز وتظن أن درايتها بالقانون يمكن أن تحميها من تطبيق القانون عليها ٠٠ ابنتكم زوجة خائنة لها عشيق ينتظرها كل يوم بعد الانتهاء من عملها كى يغير لها إطار السيارة !!

ثم انفجر فى ضحكات هيستيرية !! فى حين علت صرخات رانيا فى الغرفة المغلقة عليها فهرعت إليهـا جدتها لتحتويها فى حضنها الذى كان ينتفض هلعا !

صاح أبوها فيه :

ـ المحكمة هى الفيصـــل بينك وبينها !! ولن أسمح لك بإهانتها فى بيتها أكثر من ذلك ؟!

كانت سارة على وشك الانفجار مرة أخرى لولا أن يأسها من الحصول على الطلاق أوحى إليها بفكرة لم تخطر لها على بال ! قالت بهدوء أثار رعب معتز شخصيا :

ـ لو كانت لديك ذرة من الكرامة التى تتشدق بها دائما ٠٠ لمـا سمحت لنفسك أن تحتفظ بزوجة خائنة ناشز على ذمتك ؟!

ـ لا تحـــاولى استفزازى كى أطلقك ·· فلن تنالى ما تحلمين به !

ـ إذاً ·· فكل اتهاماتك لى اكاذيب وهواجس وأوهام من خيالك المريض !!

ـ حيل المحامين هذه لا تجوز علىّ !!

ـ أعرف أن تفوقى فى الدراسة ونجاحى فى عملى كمحامية يثير جنونك لأنك لم تكمل تعليمك وفشلت فى كل خطوة بعد ذلك !

ـ لكننى لم أخنك ·· حتى فى ألمانيا حيث كل شىء ممكن وسهل !!

عادت الفكرة تلح على ذهن سارة ، فكرة غامضة ومثيرة وملحة ومجنونة ! فإذا كان المنطق لم يفلح أبداً مع معتز فقد ينجح الجنون فيما فشل فيه العقل ! سألته وهى تسلط وميض عينيها العسلى على دفرة وجهه الكالحـة :

ـ هل يصور لك عقلك أن أى شاب شهم يهـرع لتغيير إطار سيارتى يمكن أن يكون حبيبى ؟!

ـ طريقة السلام الحـار بالأيدى والابتسامات العريضة المتبادلة والعيون المسبلة الحـالمة ليست من

شروط تغيير الإطـار !! فأنا لسـت غبيا إلى هـذا الحـــد !!

تراجعت إلى الخلف خطوتين وقد زادت حـدة وميض عينيها :

ـ عفوا ! فأنت فى غاية الذكاء ! فعـلا ٠٠ أنـا أحب هذا الشاب وأتمنى اليـــوم الذى أطلق فيـه لأتزوج منـه !!

خرج أبوها من ذهوله المفاجىء صارخا :

ـ ما هذا الهراء الذى تنطقين به يا سارة ؟! هل جننت أنت أيضا ؟!

لم تعر أباها التفاتا بل أوشكت ان تشل حركة معتز المرتعشة بنظراتها المغناطيسية وهو يدس يده فى جيبه الذى يحتوى على المطواة :

ـ هيا ٠٠ اقتلنى ٠٠ أعرف أنك تحمل مطواة فى جيبك !! كم هددتنى بحكاية موسم ذبح الإناث !! وحياتى كلها معك كانت هذا الموسم !! فليس شرطا أن يتم الذبح بمطواة أو سكين ٠٠ فهناك ذبح مستمر يوميا وإن لم تسل فيه الدماء !!

كان معتز صامتا وهو ينتفض مرتعدا ! خشى الأب من نظراته الزائغة فوقف متحفزاً لأى طارىء وهو يدعو الله فى سره أن ينهى الموقف على خير !!

فجأة صرخ معتز وقد لوح بالمطواة فى الهواء :
ـ سأعرف كيف أنتقم لشرفى !!

اقترب الأب فى محاولة لحمـــاية ابنته ، لكن معتزا انطلق كالسهم إلى الخارج وهو يعوى كالذئب على درجات السلم التى طواها حتى غادر البيت ! خرجا من ذهولهما على عودة الأم من الغرفة المجاورة وقد سمعت كل ما قيل ٠ صاحت فى سارة :
ـ هل جننت يا ســـارة لتقولى هـــذا الكلام الفارغ ؟!
ـ أردت أن أذهب معه إلى نهاية المطاف لعله يثأر لكرامته ويطلقنى !!
ـ وتشوهين سمعتك بهذه البساطة ؟!

أضاف الأب الذى ارتمى على أقرب مقعد :
ـ أو يقتلك ٠٠ أو يقتل هذا الشاب المسكين الذى كان كل ذنبه أنه غير لك إطـــار السيارة فى يـوم أســـود !!

ـ لا تخف يا بابا ٠٠ إنه أجبن من أن يقتـل ذبابة !! كما أنه لا يعرف شيئا عن هذا الشاب سوى تلك اللحظات التى غير فيها إطار السيارة !! كل محاولاته معى أن يسمع اعترافا يرضى شكوكه التى تحرقه ليل نهار ٠٠ وقد قدمت له هذا الاعتراف لأن المجنون لا يفهم سوى مجنون مثله ! إن مكانه ليس بيننا ٠٠ فلابد أن يودع فى مصحة للأمراض النفسية والعصبية أو حتى العقلية !

لم يملك الأب سوى الإعجاب بجرأة ابنته وثباتها فى موقف تطير فيه عقول الرجال ، ومع ذلك قال :

ـ لكل شىء حدود ٠٠ ولا أحب أن تتحـــول الشجاعة إلى تهور !!

فى حـين عقبت الأم وقـــد رفعت عينيهـا إلى أعـلى :

ـ كل ما نتمناه من الله ٠٠ أن تأتى العـواقب سليمة !!

* * *

(١٣)

كان المهندس وسام يجلس إلى مكتبه وهو يراجع مع رئيس عمال مصنعه بعض عينات الأقمشة المطبوعة حديثا ، ويبدى ملاحظاته على الألوان والتصميمات حين سمع صراخا خارج مكتبه وإذ بالباب ينفتح عنوة ويدخل معتز هادراً كالإعصار :

ـ أخيرا ٠٠ اعترفت زوجتى الخائنة بعلاقتها بك !

ثم ارتمى نائحا باكيا على مقعد أمام المكتب ٠ نهض وسام ليربت على كتفه مهدئا إياه :

ـ كما قلت لك من قبل ٠٠ لابد أن تعالج نفسك من هذه الأوهام القاتلة ٠٠ حرام أن تترك نفسك تتعذب بهذا الشكل !

ـ تأهب رئيس العمال لأى طارىء لكن وساماً أشار له بالخروج حتى يجنب معتزاً أى حرج كان قد استشعره فى نظراته ! تلكأ رئيس العمال لحظات

ثم غادر المكتب ليقف خلف الباب ! ظل معتز يبكى وينتفض :

ـ ساقتلها !! لن أستريح إلا إذا قتلتها !!

ـ وهل حياتك رخيصة إلى هذا الحد ؟! طلقها واسترح منها !! فمن الواضح أن الحياة بينكما أصبحت مستحيلة !!

ـ وكيف عرفت هذا ؟!

ـ من حديثك وسلوكك !!

ـ اعترف أنت أيضا بأنك تتمنى طلاقها منى حتى يخلو لك الجو معها !! أليس هذا ما طلبته منى حالا ؟!

فاض الكيل بوسام برغم احترامه لآلام الآخرين وصاح :

ـ أنت مجنون !! اخرج من مكتبى حالا .. وإلا ناديت عليهم ليلقوا بك خارجا !!

نهض معتز منتفضا فظن وسام أنه سيخرج ، لكنه سرعان ما أخرج من جيبه المطواة وانهال على وسام طعنا فى يسراه وكتفه وصدره وهو يصرخ :

ـ سأنتقم لشرفى قبـــل خروجى !! سأنتقم !!
سأنتقم !!

تدفق الدم مع صرخات وسام وتأوهاته فتراجع معتز إلى الخلف مذهولا لا يصدق ما جرى فى نفس اللحظة التى انقض فيها رئيس العمال عليه ليكتفه من الخلف ويلقى بالمطواة بعيدا عنه . وفى لحظات كان المكتب قد ضاق بالمهندسين والعمال الذين أسرعوا بنقل وسام فى سيارة أحدهم إلى أقرب مستشفى فى حين اقتاد آخرون معتزاً وهو يبكى وينتفض كالأرنب الذبيــح !

وفى التحقيق اعترف معتز باعتــدائه بالمطــواة المضبوطة على وسام الذى وإن كان الأول فى سلسلة من سيقع عليهم انتقامه فإنه لن يكون الأخير أبداً !! فسوف يقضى على كل من يحاول الاقتراب والاستيلاء على سارة معبودة عمـــره ، وهو غير نادم على الإطلاق على ما فعله وســوف يكرره بلا ندم أيضــا مادام هناك ذئاب" تطارد الحمل الوديع لتنهشه ! وهو لن يمس هذا الحمل بأى سوء بل سيحميه إلى آخر لحظة فى حياته حتى لو خاض نهرا من الدماء !!

ظل يبكى ويندب حظه العاثر وقدره الغاشم ،

ويتغنى بحبه لسارة حتى آخر نبضة فى قلبه ! فهى معبودة عمره ، ولا حياة له بدونها ! وعذره فيما فعله أنه يحبها حبا جنونيا !! حب لم ولن يفهمه أحد فى هذه الدنيا الغريبة الشاذة !! ثم ظل يهذى بألفاظ غير مفهومة وسط دموعه المنهمرة وتقلصاته المتشنجة ! وعندما تعذر على المحقق الحصول على معلومات جديدة ، قرر إحالته للكشف على قواه العقلية مع حبسه على ذمة التحقيق ! ثم شرع فى أخذ أقوال الشهود الذين اتفقوا تماما فى كل ما اعترف به معتز !

أما الصحافة فقد وجدت فى الحادث كنزها الدفين فوضعته فى عناوين الصفحات الأولى : « أسطورة ميزو أصبحت مأساة » ، « سقوط نجم النجوم » ، « كرة وغيرة ودماء » ، « ميزو فوق نار الشك » ، وإذا التزمت إحدى الصحف بالأسلوب الوقور فإنها تقول : « لاعب شهير يحاول قتل صديق زوجته » دون ذكر أسماء أبطال الحادث !!

عاشت أسرة سارة أياما عصيبة وهى ترى الصحافة تلوك سمعتها لدرجة أن صحيفة مشهورة بالإثارة نشرت قصة حب سارة ووسام بتفاصيل دقيقة لا يعلمها بطلا القصة نفساهما ، بل إنها

أوضحت أنهما عاشـا طفولة مشتركة ترعرع فيهـا الحب مبكراً ، لكن الشهرة والأضواء والهالات التى أحاطت بمعتز خلبت لب سارة وجعلتها تدور حوله كما يدور الفراش حول النور ! لكن عندما انطفأت الأنوار وانفض المولد ، تأججت جذوة الحب القديم داخل سارة فعادت إلى حبيبها الأول ، فما الحب إلا للحبيب الأول !!

رزحت سارة فى بداية الأمـر تحت وطـأة آلام التجريح وتشويه السمعة وجحيم الإحساس بالذنب ! فكرت فى رفـع قضية على الصـحف التى تناولت اسمها بالتشهير وترويج الأكاذيب والادعاءات ، وهى المحامية المتمكنة القادرة على ذلك ، لكن إحساسها بالذنب تجاه المهندس وسام جعـل عينيها تلتقطان أخباره الصحية فى الصحف قبل الإلمام ببقية التغطية الصحفية حتى لو كانت تمسها شخصيا ! فهى وإن كانت قد تعرضت سمعتها للخطر فذلك بسبب جنون زوجها ، لكن ما ذنب هذا المســكين حتى تتعرض حياته نفسها للخطر بسبب شهامته ومساعدته البريئة لهـا ؟! وادعائها أمام معتز بأنها تحبه ؟!

تتبعت صـورته فى الصحف وحاولت مضاهاتها بالملامح المتناثرة المهتزة التى انطبعت فى مخيلتها

فى تلك اللحظات الخاطفة التى تابعته فيها وهو يقوم بتغيير الإطـــار ! كان هادئاً ، وقـوراً ، أنيقاً ، رشـيقاً ، لكن نظـراته كانت ساهمة حزينـة تحت نظارته الذهبية الرقيقة برغم الابتسامة المرسومة على شفتيه ! وسط هذه التأملات المضنية الممضة لم تجد سارة ما يثلج صدرها سوى خروج وسام من هـــذه المحنـة حيا يرزق ، وصحته التى تتحسن يوما بعد يوم ! وإقبال بعض شباب الصحفيين عليهـا للإدلاء بما تشاء من أحاديث وتصريحات ، فوجدتها فرصة ذهبيـــة لتعرية الأكاذيب التى نشرت ، وتصحيح الصورة التى شوهت ، فهذا أفضـل ألف مرة من رفع القضايا أمام المحاكم وهى الخبـيرة بالسلحفاة القضائية ، وخاصة أن القضية انتقلت إلى محكمة الرأى العام ذات الأحـكام القاطعة والسريعة التى لا تقبل أى نقض أو إبرام فى معظم الأحوال !

فى الوقت نفسه أكد التقرير الطبى عن معتز أن الهيروين الذى أدمنه قد دمر جزءاً من خلايا مخـه لا يستهان به ، مما أثر على تفكيره وسلوكه بل ونطقه الذى كان يتراوح بين التلعثم والثقـــل والصراخ والشرود ، وبحكم أن خلايا المخ هى الخلايا الوحيدة التى لا تتجدد فى الجسم فإن الخلل الخطير الذى وقع لن يتحسن مع الأيام ، بل ربما تضاعف على المستوى

النفسى على الأقل حتى لو تم شفاؤه تماما من الإدمان، إذ أنه لا توجد عوامل يمكن أن تساعده على الاقتراب من الشفاء ، بل إن علاجه الوحيد يتمثل فى المسكنات التى يمكن أن تساعده على المرور بحالات التشـنج والهيـاج العصبى دون أن يؤذى الآخرين أو يؤذى نفسـه ، ولذلك لابد من إيداعه مصـحة للأمراض العصبية والعقلية لحماية المجتمع من مخاطره · فهو إنسان غير مسئول عن تصرفاته !

وهرع أبو سارة للحصول على نسخة من هـذا التقرير الطبى الذى يمكن سارة من أن تحصل على الطلاق حتى تنـال حريتها من ذلك الكابوس الذى جثم على كاهلها طوال كل هذه السنوات حتى كاد أن يزهق انفاسها ! لم يكن الحـادث كله شراً بل تكشفت عنه جوانب مضيئة وضعت الأمور فى نصابها بعد أن فقد الأمل تماما فى تصحيحها ! لكن وسـط هذه الجوانب المضيئة ظلت هناك بقعة معتمة تنضح بأحاسيس الذنب القاتلة ! ما الذى يمكن أن تفعـله سارة لوسام وهو الذى رفض أن يدلى بأية أحاديث للصحافة بعد أن سمح له الأطباء بذلك ؟! وبرر رفضه بأن أعراض الناس وأسرارهم ليسـت كرة يتقاذفها كل من هب ودب إلى حيث تلقى بهـا أهـواؤه

وهواجسه !! كان هو الوحيد الذى صـــان صورتها واسمها دون أن يعرفها !! فهل يمكن أن يمر الأمر كله وكأنها لا تعرفه بالفعل ؟! وكأن شيئا لم يحدث ؟! ما الذى يمكن أن تفعله ؟! وكيف ؟! وفى أى اتجاه ؟!

كلها أسئلة افترشت سرير سارة فى الليل ومقعد مكتبها فى النهار بأشواك أدمت عقلها ووجدانها وهى تبحث عن إجابات لعلها تهبط عليها من السماء كما ينزل المطر على الأرض التى شققتها التحاريق !

* * *

(١٤)

أصبحت السيدة الغامضة الجميلة حديث المستشفى كله ! اعتادت الظهور فى الأيام الأخيرة وهى تحمل باقة من الورود الحمراء تقدمها للممرضة المنوطة بالطابق الذى تقع فيه غرفة المهندس وسام كى تقوم بتوصيلها إليه ! وفى كل مرة كانت ترفض ذكر اسمها أو توصيل الباقة بنفسها ، وتسعد للغاية عندما تعلم بمثوله للشفاء واقتراب ميعاد خروجه من المستشفى !

وقد أثارت هذه السيدة جواً من الغموض اللذيذ الممتع الذى أزال كل بقايا الكآبة التى ترسبت فى وجدان وسام منذ يوم الحادث ! فكر طويلا وقضى لياليه فى التخمين الذى يتراوح بين الشك واليقين ، بين الترجيح والتأكيد ، ثم اتفق مع ابنته وحبيبة قلبه ياسمين على التربص بها بين الثامنة والتاسعة صباحا ، أى فى الميعاد الذى اعتادت المجىء فيه ، لتمسك بها وتحضرها قسرا إليه ! صحيح أن ياسمين لم تكن قد تجاوزت العاشرة من عمرها إلا أن قوامها

المشـوق كان يوحى بسن أكبر ٠ وأصرت على ملازمة أبيها معظم الوقت وهجرت النـــادى الذى اعتادت قضاء العطلة الصيفية فى حمام سباحته ! وكانت منذ الحادث قد انتقلت للإقامة فى بيت عمتها التى رعت أخاها فى المستشفى بصفة يومية !

لكن خيبة الأمل كللت الخطة لأنها تخلفت ثلاثة أيام متتالية عن المجىء فى حين أوشك وســام على مغادرة المستشفى لقضاء فترة النقاهة بالمنزل ! كان وسام قد جمــع الكروت المصاحبة لباقات الورد التى تحمل التمنيات بالشفاء العاجل دون توقيع ، وحاول تحليل الخط لكن بلا جدوى ! وأخيرا ذات صباح كان يتربص فى الممر وإذ به يسمع صوت ياسمين فى جدل مع صوت أنثوى رقيق ! استدار ليجدها ممسكة بسيدة جميــلة رقيقة تحمـــل باقة ورد ! لم يتبين ملامحها جيدا لأنه لم يكن يرتدى نظارته ، كما لم يميز صوتها وهى ترد على ياسمين :

ـ جئت فقط للاطمئنان عليه ٠٠ الحمد لله على سلامته !

وحاولت أن تدس الباقة فى يدها لتسليمها لأبيها لكن ياسمين صاحت :

ـ لابد أن تُسلميها بنفسك ٠٠ بابا مُصر على أن يراك !

وقبل أن ترد توقف وســام فى مواجهتها ! فى الحال تأكد من انها سيدة إطـار السيارة وسرعان ما تداعت لحظات تغييره فى مخيلته فمد يده كالمنوم مغناطيسيا وهو يقول :

ـ أهلا أستاذة سارة !! كانت تخميناتى كلها فى محلها !!

أرخت جفنيها فأسبلت عينيها لتخفى وميضهما العسلى :

ـ حمدا لله على سلامتك ٠٠ عن إذنكم !

كان لايزال ممسكا بيدها التى خلعتها منه بعد مقاومة خفية ؛ لم تكن تعــرف شيئا عن حيــاته الخاصة ، لكنها ترى الآن ابنته بالإضافة إلى خاتم الزواج فى يسراه ، ولن تحتمل زوجته وجودها ، وهى تريد إجازة من المشكلات المتوالية ! استدارت لترحل لكنــه استدار ليمنعها من التقـــدم وقال ضاحكا :

ـ لا تحاولى استغلال ذراعى المعلقة فى رقبتى كى تهربى !! بيننا حديث طويل لا مهرب منه !!

اخرجت من حقيبة يدها منديلا معطرا لتمسح به حبات العــرق التى تالقت على جبينها ، فبادرها بقـوله :

ـ تكييف الهواء فى غرفتى افضـل من المر ! صيف هذا العام بدا ساخناً ·· ودموياً !

لاحظت انه يضغط على الكلمة الأخيرة فقالت :

ـ اعرف أننى كنت السبب فى كل المتاعب التى جرت لك ···

قاطعها وهو يستدير ليتقدم نحو غرفته فلم تجد مفراً من أن تتبعه وابنته فى أعقابهما · قال حتى يشدها إليه :

ـ لا تظلمى نفسك ·· إنه تخط القـدر ·· فانت لم تفـرغى الإطـار من الهـواء ·· وأنـا لم أقصد ان أمر بك فى تلك اللحظة بالذات !!

ابتسمت وهم يدخلون الغـرفة ويغلق البـــاب خلفهم :

ـ لكن زوجى كان يخطط لحسابه وليس لحساب القـدر ؟!

جلسوا على المقاعد الجلدية الوثيرة أمام الفراش وياسمين تتابع الحـــوار كأنهـا تشــاهد فيلما فى التليفزيون ! فتح وسام الثلاجة الصغيرة ليقدم منها لسارة زجاجة مياه غازية أمسكت بها شاكرة ! قال وســام :

ـ لا أحد ولا حتى زوجك يستطيع أن يخطط خارج إطار القدر !! بالمناسبة ‥ ما أخبــار قضية طلاقك منه ؟!

لا تعرف لمــاذا سعدت بهذا الســؤال الذى يدل على حرصه على تتبع أخبارها من الصحف ؟! أجابته وهى تكبت ابتسامة شقية :

ـ الطلاق شىء مفروغ منه !

ثم سألته وخـوف غامض يغمـرها فى انتظـار إجابتــه :

ـ أين المدام ؟! كنت أود لقاءها للاعتذار لها عن كل المتاعب التى تسببت فيها لكما ولياسمين !!

ظللت سحابة حزن وجهه وعينيه فى حين أطرقت ياسمين برأسها لتتشاغل بالبســاط الوردى تحت قدميها ! سـاد سكون لم تعرف سـارة عما إذا كان مفعما بالحزن أم مصدرا لبهجة غريبة ، خفيـة لم تخبرها من قبل ؟! قطع وسام السكون :

ـ زوجتى رحلت منذ أكثر من سنتين ..

ازداد السكون رهبة حتى قطعه مرة أخرى وهو يزدرد لعابه :

ـ رحمها الله .. كانت إنســانة عظيمــة .. ولحسن الحظ فإن ياسمين تحمل ملامحها إلى حد كبير .. فهى تذكرنى بها باستمرار وإن كنت لم أنسها أصـلا .. ولم أجد حتى الآن السيدة الفاضلة التى يمكن أن تحل محلها .. برغم إلحاح ياسمين وبحثها المستمر عن زوجة لى !! ظلت تقاوم مرضها الخبيث ثلاثة أعوام كالكابوس ولسانى لم يكف عن الصلاة والدعاء .. لكن إرادة الله كانت فوق كل اعتبار .. كانت نور حياتى الذى انطفأ لأجد نفسى فى ظـلام

حالك لم تبدده سوى ياسمين وانهماكى فى عملى ليل نهار حتى أهرب من آلامى !! والحمد لله ·· ازدهر عملى ·· وقمت بعدة توسعات فى المصنع ·· وشرعت فى تصدير النسيج الذى نقوم بطباعته إلى الخارج !!

صمت ليلتقط أنفاسه وقد كبر فى عينيها فنضحت كلماتها بكل الاحترام والتبجيل :

ـ لقد عشت فى كابوس متصل وأنا أتتبع تطورات إصابتك يوميا فى الصحف ·· ظللت أدعو الله طوال وجودك فى غرفة الإنعاش ·· ولم ألتقط أنفاسى إلا يوم خروجك منها وزوال الخطر عنك !

ـ هذا الكلام يسعدنى كما أسعدتنى باقات الورد الغامضة فى الأيام الأخيرة ! أنت سيدة عظيمة فى أحاسيسك وتصرفاتك !! لكن حظك فى الحياة لم يكن على نفس المستوى !!

ـ كل شىء قسمة ونصيب !

ـ هناك خطوط غير مرئية تربط بين أقدار الناس دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عنها ·· والتجربة الأخيرة أكبر دليل على ذلك ·· لقد استمات

زوجك حتى النهاية فى منــع علاقة بيننا هى غــير موجودة أصــلا ٠٠ وهو نفســه الذى تسبب بفعلته المجنونة هذه فى الربط بيننا دون أن يدرى وبرغم أنفه ٠٠ صحيح أن فعلته لا تخضــع لأى منطق أو معنى ٠٠ لكن يبدو أن نتيجتها ستكون ذات معنى إنسانى كبير بإذن الله !

انقشعت سحــابة الحــزن تحت شمس ابتسامة توهجت مع نبراته الحزينة برغم رأس ســارة الذى اهتز على عنقها فى حرج :

ــ عندما عرفت من الصحف أن أباك هو المهندس والمقــاول عزمى عبيد العصامى الكبير الذى بنى مؤسسته الضخمة من نقطة الصفر ٠٠ زاد احترامى لأسرتك ٠٠ فأنا عصامى أيضا ٠٠ بنيت مصنعى من كفاحى وعرق جبينى وثقتى بنفسى ٠٠ فقد نشأت فى أسرة رقيقة الحال لم أرث عنها شيئا ٠٠ ولعل هذا يفسر هذا الالتقاء العجيب بيننا فى الميول والأفكار والطموحات والآلام والآمال !

لم تملك سارة سوى أن تهمس دون تفكير :

ــ كأننا نعرف بعضنا بعضا منذ سنوات طويلة برغم أنه أول لقاء بيننا !!

أوشكت كل الحواجز أن تتلاشى تماما ووسام يقـول :

ـ من فضلك هذا ثانى لقاء بيننا !!

وانفجـرا ضاحكين ولحقت بهما ياسـمين التى قالت أخيرا :

ـ قرأ بابا فى الصحف أن لك ابنة اسمها رانيا !! كنت أود أن أراها ·· فانا ليست لى أخت أو أخ !!

مدت سارة ذراعها لتربت بكفها على وجنتها فى حنان غامر فلمعت الدموع فى عينى ياسمين فجذبتها سـارة لتجلسـها إلى جـوارها على طرف المقعـــد وتحتويها فى أحضانها قائلة بصوت متهدج :

ـ أنا فـداك يا حبيبتى ·· سأحضرها معى غـــدا !!

تماسك وسام حتى لا تنهمر دموعه هو أيضا :

ـ كانت ياسمين تتمنى من الله أن يمن عليها بأم ·· واستجاب أخيرا لدعوتها !

مسحت ياسمين دموعها وهى تحاول أن تخرج كلماتها بوضوح :

ـ كان بابا يتمنى من الله أن يمن عليه بزوجة جميلة عظيمة .. واستجاب أخيرا لدعوته !

انتهز وسام الفرصة الذهبية التى أتاحتها له ابنته :

ـ ألم أقل لك أن هناك خيوطا غير مرئية تربط بين أقدار الناس دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عنها ؟! كما أننى فى حاجة إلى إدارة للشئون القانونية بعد أن أصبح عندى فى المصنع أكثر من خمسين مهندساً وألف عامل .. وسيكون إنشاء هذه الإدارة على يديك بإذن الله !

مسحت سارة دموعها وهى لاتزال تحتوى ياسمين فى حضنها الذى استكانت له تماما :

ـ لا أعرف ماذا أقول لكم ؟! الموقف أكبر من أية كلمات !!

ـ لا تقولى شيئا .. القلوب أروع وأعمق وأصدق من الألسنة !

ـ ألا يعنى هذا أن كل ما أشاعه معتز كان حقيقيا ؟!

ـ ما يهمنا هـو صدقنا مع أنفسنا قبـل رأى الآخرين فينا !!

ـ لكننى لن أستطيع أن أهرب من إحسـاسى المرعب بالخوف عليك من معتز !!

ـ لقد عُزل بعيدا عن المجتمع الذى لم يستطع الحياة السوية فيه ٠٠ وأنا لسـت جبانا إلى هـذا الحد ٠٠ والجبان يموت ألف مرة فى اليوم الواحد ٠٠ أما الشجاع فيموت مرة واحدة فقط ٠٠ كما أن حرصى على الحياة سيتضاعف مع وجـود مخلوقة جميلة ساحرة ٠٠ وجها وعقلا ٠٠ مظهرا وجوهرا مثلك تقف إلى جوارى ٠٠ وتشد أزرى !

أرخت سارة جفنيها وحمرة الخجل العذب تسرى فى قسمات وجهها الجميل وهى تحاول تفادى نظراته المتدفقة بأمـواج الحب والحنـــان والإعجـــاب والاحترام ٠٠٠

* * *

تمـــت

* * *

مطابع سجل العرب